السـنة الثالثـة / العـدد 64 / 01 تمـوز 2017

sayı 64

الحرمل

Her Daim Özgürlük

الحريـــة دائمـــاً

WWW.ALHARMAL.COM

Alharmal Dergisi | Kültür - Siyasi - 15 günde bir

مجلة الحرمل / ثقافية ـ سياسية ـ نصف شهرية ـ مستقلة.

الرقة واحتلالاتها..!

لم تكن الرقة يوماً مدينة محافظة، وبالمقابل هي من أكثر المدن تمتعاً بحس شعبي أصيل أضفى على فكرة التدين ليونة قلّصت المسافة ما بين الرّقي ودينه، وبينه وبين الآخرين. حال هذه المدينة لا يحتمل، مجرد الذكر، فكرة الدعشنة، فكيف بها تُقسر على احتضانهم لتتهم فيما بعد بما ليس فيها.؟

أيضاً، عُرفت الرقةُ على مدى تاريخها المعاصر باحتضان السوريين من كافة المدن. مدينة مفتوحة لا تسكنها عقد بعض المدن، ولعل هذا من الأسباب التي جعلتها في بؤرة تفكير النظام، وغيره من صانعي داعش.

بالعودة الى عام 2013 و»تحرير» الرقة يرى من عاش تلك الأيام، وإلى حين سيطرة الدواعش على البلد، أن نهج الكتائب لم يكن نهج تحرير بقدر ما كان يمثل فكرة الغزو في أبشع تجلّ لها. ساعد هذا على جعل المدينة لقمة سائغة لداعش.

اليوم يندحر داعش على أرضها. ثمة قوتان تحاصران المدينة، من جهة الغرب والشمال قوات قسد، ومن جهة الشرق قوات النخبة التابعة لتيار الغد برئاسة أحمد الجربا. في الأفق أهداف متباينة للقوتين المحررتين، وعلى الأرض تسعى أطراف إقليمية ودولية لتمكين غاياتها، وتنشيط أهدافها.

قوات النخبة تسعى لتمكين وجودها في منطقة الجزيرة باتجاه الهدف البعيد رئاسة سورية، ولا بأس من استراحة مؤقتة بصناعة إقليم يدار مع الكرد الذين يحلمون باستقلال وهمي تعارضه قوى إقليمية من مثل تركيا التي تسعى بدورها لحيازة شرق الفرات مع غربه منعاً لقيام كيان كردي على حدوها. روسيا بدورها مع إيران والنظام السوري تسعى إلى التدخل من بعيد بقصد المقايضة أرض بأرض.

ثمة أوجه متعددة للصراع تشرف عليها أمريكا بشكل مباشر وغير مباشر. الذي يدفع ثمن هذا الصراع، وهذه الرغبات هم أهالي الرقة، حيث التدمير الشامل لبنيتها التحتية، مع قتل المدنيين وتدمير منازلهم. ثمة أيضاً ما يخشى منه، وهو نشوء صراع كردي عربي في المحافظة، وتعمل قوى إقليمية ودولية على إدارته خدمة لأهدافها المختلفة. هذا إلى جانب بقايا مؤمنة بنظام الأسد ستعمل بدورها على تأجيج الصراع ما لم تتحقق مصالح نظامها على الأرض أو في مكان آخر من سوريا.

هذه الانتقالات من نظام استبداد بلبوس علماني، إلى آخر مستبد وحشي خرافي بلبوس ديني إلى ساحة أخرى مفتوحة على صراعات جديدة ذات طبيعة قومية تشير إلى أن الرقة، وإن اندحر داعش قريباً، تنتظر احتلالاً جديداً، وحياة ضنك أخرى بمسميات مختلفة، وسيظل حالها كذلك إلى حين وضع سورية على درب الحل.

بالطبع ليس في الأفق ما يشير إلى هذا، فمصالح الدول غير ناجزة الآن، وهذا ما يعزز فكرة أن الرقة مفتوح بابها للمليشيات، وعلى أرضها ستنشأ صراعات أخرى.

ماجد رشيد العويد

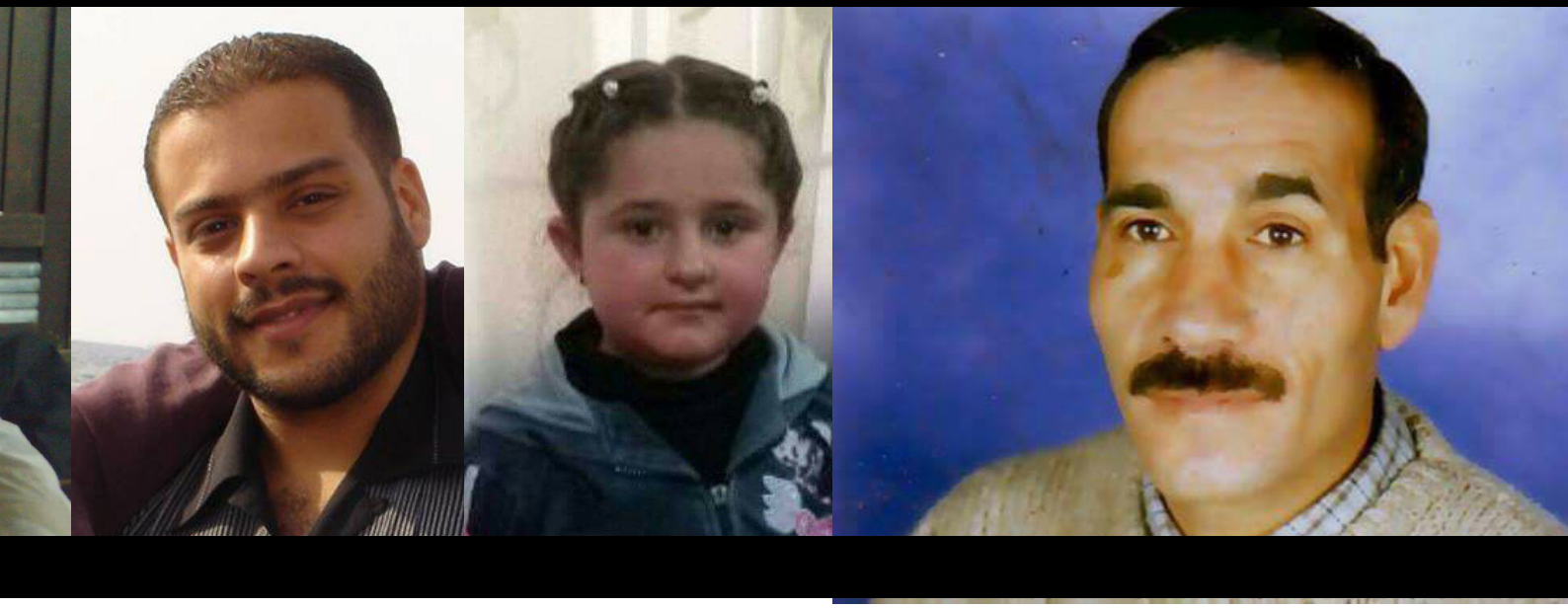

أكثر من 167 شهيداً من المدنيين في الرقة
إنتهاكات بحق مواطنين من الرقة..؟!

يوسف دعيس

الأنباء الواردة من مدينة الرقة تؤكد أن المعركة بين تنظيم الدولة «داعش» وقوات سورية الديمقراطية ما زالت مستعرة بين كرٍّ وفر، وبعد ورود أنباء في الأيام الأولى لانطلاق معركة تحرير الرقة، تقول أن قوات النخبة التابعة لقوات قسد وصلت طلائعها إلى محيط تقاطع شارع المنصور مع شارع سيف الدولة، وانتشار تسجيلات عبر وسائل التواصل الاجتماعي تؤكد أن أكثر المناطق المجاورة لهذا التقاطع قد تحررت، ثم ما لبث أن بدأت ترد أخبار تنفي هذا التقدم، فيما تردد عن حركة التفاف قام بها عناصر التنظيم من شاطئ الفرات باتجاه باب بغداد وصولاً إلى باب السبال، المدخل الذي يؤدي إلى المنطقة الصناعية وحي الصناعة، وكبدت هذه الحركة الالتفافية قوات النخبة العديد من العناصر في محيط المنطقة المذكورة، وأوقفت تقدمهم، مع تأكيدات بأن عناصر داعش يستخدمون طائرات بدون طيار صغيرة الحجم محملة بصاروخ صغير، ضد القوات المهاجمة، بالتزامن مع استخدامهم للمفخخات التي أعاقت عمليات التقدم لقوات النخبة.

إيقاف عمليات التقدم للقوات المهاجمة من محاور الصناعة، ودوار البتاني (البرازي)، ومن الغرب مناطق السباهية ومفرق الجزرة، رافقه تقدم لقوات قسد في محيط كسرة فرج جنوب نهر الفرات، والذي تزامن مع قصف جوي ومدفعي لمعظم مناطق مدينة الرقة وريفها الجنوبي والشمالي، ما أسفر عن وقوع ضحايا من المدنيين في معظم أحياء المدينة، خصوصاً أحياء الرقة القديمة، ودمار لعدد من البيوت والأبنية والمنشآت في أماكن وقوع القذائف والصواريخ والقنابل، إضافة إلى استهداف المدنيين العزل، الذين كانوا في حالة نزوح، أو الخروج لجلب الماء، أو الاحتياجات الأساسية بواسطة الطائرات بدون طيار، ومن يسلم من القصف المدفعي تواجهه الطائرات، ومن يخرج سالماً من هذه وتلك، تواجهه قناصات داعش وقسد، ومن يتهيأ له الخروج سالماً من الرقة بانتظاره الموت المحتم إما بالألغام التي زرعتها داعش في محيط الرقة، أو من الطائرات التي تقصف هنا وهناك. ومن يخرج سالماً بعد كل هذه المعاناة تنتظره معاناة أخرى في مخيمات النزوح التي تفتقد لشروط الحياة الإنسانية، والتحقيق والمعاملة السيئة. كل ذلك يجري دون أن تترك القوات المتنازعة على الأرض أي منفذ آمن لخروج المدنيين العزل من مناطق القصف أو الاشتباكات.

الدكتور محمد خالد الشاكر، المتحدث الرسمي لقوات النخبة، يقول: ما زالت قوات النخبة تتموضع منذ عشرة أيام في حي الصناعة، وتضع استراتيجية جديدة لتحشيد قواتها باتجاه حي الرميلة الواقع شمال حي الصناعة لتحريره من قبضة داعش، ضمن عملية مشتركة تقوم بها قوات سورية الديمقراطية التي تعمل على تحرير حيي حطين والقادسية، وتحاول الوصول إلى حي الأندلس المجاور لحي الرميلة، وضمن هذه الاستراتيجية التي نعمل عليها، نهدف بالدرجة الأولى لتضييق الخناق على تنظيم داعش، وتقطيع أوصال تمركزه في أحياء الرقة، وإجبار عناصره على الاستسلام.

ويؤكد الشاكر أن العمليات الجارية على أرض المعركة في الرقة تجري بغطاء أمريكي، ونعمل بظروف صعبة، نتيجة سعينا لتجنيب المدنيين أية إصابات محتملة أو طائشة. مشيراً إلى أن قوات النخبة ستعمل مباشرة بعد تحرير الرقة إلى تمكين أبناء الرقة من إدارة مدينتهم.

رغم التصريحات التي تطلقها قوات سورية الديمقراطية، والقوات المتحالفة معها، والمدعومة من طيران ومدفعية قوات التحالف الدولي لمحاربة الإرهاب الذي تقوده أمريكا حول مسألة تحييد المدنيين عن النزاعات المسلحة، لا تجد صدى لتنفيذها على أرض الواقع، وما زالت ترد أنباء عن وقوع ضحايا بالعشرات من

المدنيين العزل يومياً في معظم أحياء المدينة، ومسألة وجود ممرات آمنة لخروجهم مسألة معقدة وبعيدة عن التنفيذ، ويدفع ضريبة الدماء بالدرجة الأولى أهل الرقة.

تناقلت صفحات عدد من الناشطين فيديوهات مصورة يظهر فيها عناصر عربية تمارس تعذيب وإهانة عدد من المعتقلين، تؤكد في مجملها حدوث مثل هذه الانتهاكات وأفظع في ريف الرقة، وأصابع الاتهام في معظمها موجهة لعناصر من قوات عربية منضوية تحت لواء قوات سورية الديمقراطية، الفيديو الذي انتشر على صفحات التواصل الاجتماعي وعدد من المواقع الإلكترونية، يظهر فيه عناصر عرب، يمارسون التعذيب بحق عرب، وأحدهم يعتلي ظهر أحد المعتقلين فوق منضدة صغيرة، ويقوم بضربه، وسؤاله: «وين الدواعش؟.. أعرفك مانك داعشي بس قلي وين الدواعش؟؟!»، ثم قام بضربه بالمنضدة الصغيرة، على رأسه، وتداعت قطعاً فوق رأسه، هذا الفيديو نحتاج لنفي أو تأكيد يصدر عن الجهة المسؤولة، التي ترعى مثل هذه العناصر التي تمارس العنف والانتهاكات اللاإنسانية ضد أهلنا، وهذا يحتاج إلى جرأة وشفافية من الجهات التي تمسك الأرض في محافظة الرقة.

أما على الصعيد الميداني فقد بلغ عدد إجمالي الشهداء الذين قضوا نتيجة العمليات العسكرية خلال الأسبوعين الفائتين في عموم مناطق الرقة نحو /167/ شهيداً من المدنيين، استطاع فريق التوثيق في صحيفة الحرمل تسجيلهم بالاسم، ومكان الواقعة وتاريخها، ويقول الصحفي عروة المهاوش، المشرف على عملية التوثيق: استشهد في عمليات قصف طيران التحالف الدولي 103 شهيد، منهم عائلات بالكامل، فقد استشهد من عائلة المربد ثمانية أشخاص منهم أطفال ونساء في القصف الذي طال منطقة محيط فرن الريان في حي النهضة بالقرب من غراند مول، كما استشهد كل من عبد اللطيف القصاب وعبد الله الشعيب وشقيقه عبد الحميد، في سيارتهم التي قصفتها طائرة بدون طيار أثناء محاولتهم جلب الماء من بئر بجوار بستان البلدية وسط الرقة، وخمسة شهداء من عائلة الدكتور إسماعيل الخليل، وإبراهيم علي المحمد وأطفاله الثلاثة بالقرب من مدرسة خالد بن الوليد، وفي كسرة شيخ الجمعة تعرض أحد المنازل للقصف ما أدى لاستشهاد ستة أشخاص، كما استشهد اللاعب الدولي السابق ياسين طه الحمزة في إحدى الغارات التي طالت منزله في الرقة.

ويضيف المهاوش: بلغ عدد الشهداء الذين قضوا بالألغام المزروعة في محيط ريف الرقة أكثر من 35 شهيداً بينهم عائلات كاملة، كعائلة محيسن المرشد البالغ عددها ستة أشخاص في منطقة الخاتونية، بعد عودتهم إلى منزلهم، حيث كان ينتظرهم الموت بلغم زرع داخل المنزل، وثلاثة شهداء من عائلة أسامة مرعي الناشف قرب مزرعة يعرب بلغم من مخلفات تنظيم داعش، مشيراً إلى أن عدد شهداء القصف المدفعي بلغ نحو 23 شهيداً، مؤكداً أن هناك أكثر من عشرة أشخاص مفقودين، ولا يُعرف مصيرهم.

ويشير الصحفي المهاوش إلى أن عدد الأطفال الذين استشهدوا خلال العمليات العسكرية في الأسبوعين الفائتين بلغ نحو21 شهيداً، مضيفاً أن التنظيم قام عناصره بإعدام شخصين، أحدهم بتهمة التعامل مع التحالف الدولي، والآخر بتهمة تهريب رعايا الدولة خارج حدود الولاية.

أما عن مناطق القصف يقول المهاوش: إن نسبة الدمار في مدينة الرقة تجاوزت 30% مع الإشارة إلى نسبة الدمار العالية التي طالت البنى التحتية والدوائر والمؤوسسات. عمليات القصف الأخيرة تركزت في مناطق وأحياء حي الرميلة، ومقبرة حطين، مفرق الجزرة، والسباهية، والصناعة، والمشلب، والدرعية، ومرآب حوض الفرات، والفروسية، وحارة البجري، دوار البتاني، ومحيط شركة الكهرباء، وحي الثكنة، ومساكن الادخار، ومنطقة أمن الدولة، وشارع النور، وساحة الشماس، وشارع سيف الدولة، وحارة العجيلي، والحسون، والشعيب، ومحيط كراج البوملان، وحارة السخاني، وكسرة شيخ الجمعة، وكسرة فرج، ومحيط الفرقة 17، ومنطقة ما بين الجسرين، والبانورما، وشارع المعتز، ومحيط فندق الحمزاوي.

بعد سيطرة قوات النخبة على حي الصناعة، وحدوث اشتباكات عنيفة استرد عناصر التنظيم الحي المذكور، وبعد يومين استطاع عناصر النخبة من استرداده مرة ثانية، وما زالت الاشتباكات المباشرة مستمرة بين الطرفين.

أهل الرقة ما زالوا في مرمى نيران طيران التحالف ومدفعية القوات المرابطة خارج الرقة، وتحت مرمى القناصة من الجانبين، وفي ظل هذا الحصار الخانق، ما زالوا لا يعدمون الوسيلة في الفرار بأرواحهم من نيران القتل التي تلاحقهم من كل جانب، بانتظار أن تكون هناك ممرات لخروجهم من مناطق الاشتباكات بشكل آمن.

سيف الغربة وسكين الاتهامات..!

عروة المهاوش

في الغربة واللجوء، وخصوصاً في تركيا التي كانت محطتي الأولى والأخيرة في النزوح، تسلخ جلدك آخر كل شهر، ويتلون وجهك كل صباح بلون شاحب، وقد تصاب بالوهن حين تفتح باب بيتك، وتلقي أول نظرة على علبة ساعة الكهرباء وعداد الماء، وفي قرارة نفسك تدعو الله أن تكون فارغة، تتسارع نبضات قلبك وأنت تمسك بالفاتورة باحثاً عن الرقم، تخذلك عيناك فلا تتضح لك رؤية الأرقام الصغيرة كتابياً بينما هي جبل من الهموم تقع فوق رأسك، تضع نظارتك وتقرأ الرقم، تبسمل ثم تحوقل، تتعوذ من الشيطان، وتدس الفاتورة بجيبك لتكون قريبة من بعض القطع المعدنية الصغيرة التي تمتلكها، في الباص تفكر من أين سوف تستدين وكم من المرات عليك سلخ جلدك، وهدر ماء وجهك، وتمريغ كرامتك، وأنت تطلب من الآخرين!! وممن ستطلب؟!

اختيار الأشخاص يربك عقلك وتفكيرك فأنت لا تريد أن تكون عبئاً ثقيلاً على أحد هذا من جهة، ومن جهة ثانية تقول في سريرة نفسك: «الحال واحد فلا يختلف فلان عني بشيء»، ثم تقنع نفسك أن فلاناً له إخوة وأقارب يعملون في الخليج وفي أوربا، فقد يكون حاله أفضل من حالك، تستبعد هنا الأقارب والإخوة لأسباب عديدة واضعاً هدفك أصدقاءك فقط.

في عملك التطوعي تجد أشخاصاً رائعين جداً مخلصين لعملهم بكل تفانٍ لكنهم مثلك مفلسين دوماً، كرماء ويتقاسمون معك ما في جيبهم حين تمد يدك إلى جيوبهم دون طلب، يعرفون تماماً تفاصيل وجهك وتعابيره حين دخولك، في المقابل هناك أناس مقدرتهم المادية جيدة ولا نستطيع سلخ جلودنا أمامهم، ونحاول التظاهر بأننا مستورين والحمد لله، هذا التناقض في التعامل مصدره القلب أولاً يليه العقل الذي يرفض أن تطلب منه شيئاً معتبراً الأمر تنازلاً أو سفح ماء وجهك بغير مكانه، قد تشعر بالندم لأنك لم تطلب لكنك في النهاية تكون مرتاحاً لعدم الطلب حين تسمع من صديق ما، قصته المشابهة لما تمر به.

في عملك التطوعي «الثوري» يجب أن تقدم وتعمل مهما كانت حالتك النفسية سيئة، ومهما كانت ضغوطات الحياة المعيشية كبيرة تكتم على أنفاسك، وصدرك المخنوق أصلاً، وأنت ترى حين عودتك للبيت أصنافاً من التمر والبلح بينما صوت ابنتك يقتلك، وهي تطلب منك بعضاً منها للتحلية وأنت تدعي النسيان، مطلقاً وعداً جديداً لها أن تحضر لها غداً، تتعثر بلا شيء، قبل الوقوع أرضاً. تتسمر عيناك على حذاء رياضي كنت تتمنى شراءه كي تتخلص من ألم قدميك، وأنت تعود إلى بيتك مشياً على الأقدام كي تحافظ على صحتك، وليس توفيراً للقطع المعدنية التي بقيت في جيبك مع فاتورة الكهرباء التي عادت معك دون إشعار بدفعها.

في المقابل، وعلى الشاشة الزرقاء يجب عليك أن تتسم بالهدوء والرصانة، وأن تكون متحضراً وديمقراطياً في كتاباتك وردودك على أصدقائك، وغيرهم وأن تنتقي عباراتك بدقة متناهية حين يوجه لك البعض منهم سيلاً من الاتهامات التي بناها عقله الباطن فقط.

في سوريا كان البقاء على قيد الحياة هدفنا، ليس لتمسكنا بالحياة، بل لنبقى صامدين أمام كل آلات القتل والدمار، لنستمر على الأقل بثورتنا التي أقسمنا يوماً ما ألا نخون دماء الشهداء أولاً.

خارج سوريا، وبدول اللجوء هناك ما هو أثمن بكثير جداً من الحياة فلا خطر حقيقي على حياتك سوى سكين الغدر أو طلقة كاتمة من شخص جبان قبض ثمنك، الصراع على البقاء هنا ألا تقدم تنازلات لمانحي الدولارات وعبدته، وأنت تصارع لقمة البقاء، وألا تكون تابعاً ومهرجاً في المجالس والتشكيلات المتنوعة، ستواجه هنا حرباً خفية لكنها مكشوفة بالنسبة لك، حرباً تريد استبعادك عن جلساتهم ودسائسهم ليأتيك أحدهم صباحاً يوزع أمامك الابتسامات المزيفة. من وصل إلى أوربا وأميركا وكندا أقول لهم لا تندموا يوماً على خروجكم، فقد حصلتم، على الأقل، على قدر أكبر منّا من الكرامة التي تحفظها لكم تلك الدول، ورسالتي الأخيرة لكم كونوا رحماء بنا، ونحن نقاتل ونقاوم ببطون خاوية كروشاً متخمة، تصدرت المشهد السياسي ويتقاضون ثمن جوعنا وتشردنا، وبيوتنا المهدمة وأحلامنا التي تهشمت وباتت كالسراب.

لديكم، ولدى أبنائكم الفرصة الأكبر للدراسة والحصول على الشهادات لتعودوا يوماً لبناء وطن غادرناه جميعاً فلا تكونوا أنتم والزمن علينا.

الرقة بين معهد واشنطن وصحوات أبو ريشة..!

عبد القادر ليلا

عندما استولى حزب البعث على السلطة في سوريا اعتبر القبلية والعشائرية من بقايا الرجعية ويجب محاربتها والقضاء عليها، وقد نجح إلى حد كبير بالحد من دورها، والإساءة إليها طوال فترة السبعينيات وحتى بداية الثمانينيات. إلا أنه أعاد تسوية علاقته بها بعد صراع نظامه مع الإخوان المسلمين ليحاول أن يجعل منها بديلاً عن التنظيمات الحزبية والتجمعات المدنية والحركات الدينية، وضامناً اجتماعياً يختصر من خلالها جميع الطاقات والتشكيلات المجتمعية المكونة للرقة، والتي تجاوز عدد سكانها المليون في إحصاء 2011.

وأما عودة التحالف بين العشائر والنظام فكانت عبر القناة الأمنية، وبذلك تكون صاحبة الأمر والنهي والرفع والخفض والرضى والغضب وتقرير من يمثل هذه العشائر بالبرلمان، ومن يحق له أن يلعب دوراً بالزعامات العشائرية مجموعة من الوجهاء والشيوخ، والرقة ليست خارج هذا السياق إن لم تكن في قلبه، حيث التكوين العشائري للريف، والذي يأخذ الشكل الأوضح. ونفوذ العشيرة مؤثر وفعال. أما مجتمع المدينة فيغلب عليه الطابع العائلي والأسري بالإضافة أيضاً إلى قيم العشيرة الواضح والمؤثر لينتج نظاماً مختلطاً. في شهر آذار 2011 عندما هبت رياح التغيير المطالبة بالحرية لم تكن في الرقة عشائر مع النظام وعشائر مع الثورة، كانت كل عشيرة مع مصالحها وحجم دورها ومشاركتها في الحياة العامة.

أما المسافة التي اتخذتها من النظام والثورة هو مقدار تضرر مصالحها من قانون الإصلاح الزراعي، والذي استملك الأراضي أو حجم فوائدها من قانون الانتفاع وتوزيع الأراضي. بالحقيقة لم تكن هناك عشيرة خالصة للنظام. وأخرى محسوبة على المعارضة، ولكن كان هناك أفراد ضمنهما ربما يكونون كذلك، وأيضاً لم يكن هناك عشائر كاملة غايتها الحريات العامة والديمقراطية، وبنفس الوقت أيضاً لا وجود لعشيرة مؤيدة للنظام لقناعتها أنه يحمل المشروع الوطني، فخدمة مصالحهم هي الفيصل بالرغبة في بقاء النظام من عدمه. حاول الأمريكان محاكاة تجربة (الصحوات) العراقية، ووضع أبناء العشائر كرأس حربة في الحرب على الإرهاب، ولكنها فشلت لعدة أسباب منها عدم توفر شخصية (أحمد أبو ريشة) بنسختها السورية، إضافة إلى أن العشيرة ليست جسماً صلباً متماسكاً، فهي منظومة اجتماعية مرنة ومتنوعة تشتد كلما شعرت بالخطر وتتوزع الرؤى السياسية ضمنها، فهي ليست ضمن مشروع سياسي واحد. ربما تجد أبناء العشيرة في مواقع وخنادق متنافرة، وكما أنها لا تشعر بخطر طائفي أو عرقي كما عند نظيراتها بالعراق، حيث اللون الواحد الاثني والديني، دون هواجس تهدد وجودها، وليس لديها مشاريع خاصة تقاتل لأجلها كما (قوات حماية الشعب الكردية) والمنضوية تحت قوات سوريا الديمقراطية، بل هي متماهية مع المشروع الوطني السوري.

حاول النظام أن يجند العشائر بمليشيات الدفاع الوطني، وأيضاً فشل إلا من بعض المرتزقة واللصوص، وحتى تنظيم الدولة الإسلامية، أنشأ مكتب للعشائر، وعين له أميراً وخازناً وكتبة، وحاول التواصل مع المجتمع عبر وجاهات عشائرية باعتبار أنه خمسة أو ستة أشخاص يمكن التعاطي معهم كنواب عن بقية الأهالي، وأيضاً فشل حيث ترددت معلومات عن هروب بعض شيوخ العشائر المسجلين ضمن المكتب من مناطق التنظيم، والالتحاق بقوات سوريا الديمقراطية عبر تسويات وعلاقات.. وهم بارعون بهذا، حتى قوات سوريا الديمقراطية عندما أسست مجلساً محلياً للرقة وضعت على رئاسته أحد الشيوخ، وحاولت تضمين أغلب العشائر بعضويته ومكاتبه حتى أصبح أقرب إلى تجمع قبائل واثنيات تحت مسمى مجلس مدني كرسالة تطمين وتعزيز الثقة بقوات سوريا الديمقراطية، حيث أنها متهمة بأنها تقاد من قوات حماية الشعب الكردية.

معهد واشنطن الذي صنف العشائر على أساس دعمها للثورة أو لتنظيم الدولة الإسلامية يفتقد إلى المهنية والمعلومة المنهجية فوقع بجملة من المعلومات المغلوطة. لم تكن عشيرة البريج التي ذكرها التقرير نواة التنظيم في الرقة كما زعم المعهد، ولكن كان لشخص (توباد البريج) وهو أحد أبناء العشيرة ظهر نجمه بعد سيطرة التنظيم على الرقة. ولد هذا الشاب في العراق، حيث مكان لجوء عائلته، فوالده من أحد الوجوه العشائرية ومن القيادات السورية في بعث العراق. عادت الأسرة إلى سوريا عام 2003 عقب غزو العراق، وإصدار النظام عفواً عن السوريين اللاجئين هناك، حيث التحق توباد والبالغ من العمر 25 سنة بالتنظيم كأمير لمكتب العشائر، وكان يبحث لنفسه عن دور زعامة أكثر منه فريضة جهادية أو عقيدة سلفية، ولذلك لم يجد صعوبة كبيرة بالتواصل مع كوادر وقيادات التنظيم، وهم قيادات بعث صدام بعد أن امتطوا السلفية الجهادية، وأما اعتبار عشيرة البريج مجاميع إرهابية، وربطها بالتنظيم غير دقيق، فقد دخلت قوات سورية الديمقراطية (ناحية الكرامة) معقل العشيرة دون مقاومة تذكر وعبر تسوية وبطريقة تكاد تكون تسليماً.. الأكيد أن هناك أشخاص التحقوا بالتنظيم وربما بدافع الحاجة المادية أو القناعة الفكرية، وليس على أساس الانتماء العشائري، ويزعم تقرير معهد واشنطن أنّ عشيرة العجيل التي يتحدر منها أمير الشام (أبو لقمان) علي الشواخ على عداء مع الأكراد، وأيضاً هذا غير صحيح حيث لم تسجل عبر تاريخهما أي حادثة أو تماس بين الطرفين، وحتى التوزع الجغرافي بعيد نسبياً، كما أن أحد أبناء عمومة (أمير الشام) قيادي كبير وعضو قيادة قطرية بحزب البعث، وبعض أبنائها منضوٍ في مليشيات الدفاع الوطني التابعة للنظام السوري، وأيضاً سيطرت عليها قوات حماية الشعب الكردية بكل سلاسة وتسليم دون مقاومة، وبعكس افتراضات معهد واشنطن.

اللعب على الأوراق العشائرية غايته لعب أدوار، وأخذ أحجام غير حقيقية في مرحلة البحث عن مكانة مناسبة ضمن التسوية النهائية أو ضرب مصالح الخصوم المحتملين، وهذا ما حصل في تقرير معهد واشنطن.

أخيراً.. الإسلام البسيط ما يعتقد به الغالبية، ولكن التحول الأساسي ضمن العقلية العشائرية، حصل بعد سقوط بغداد، وإعدام (صدام حسين) مما أثار حفيظة أبناء العشائر بأنه الرئيس العربي الذي ينحدر من أصول اجتماعية وقبلية قريبة من تركيبتهم التاريخية والفكرية، هذا إضافة إلى نشاط التبشير الشيعي الذي بدأ ينتشر بين العشائر برعاية مخابراتية، وكان بداية تشكل البعد الطائفي للمنطقة الذي مهد ووفر الذرائع لظهور داعش.

حوض البليخ...
من الاستقرار المتأخر إلى الاضطراب

تقرير من إعداد «عين المدينة»

على نهر البليخ، وفي حوضه، تقع معظم الحواضر الرئيسية من بلدات وقرى ومزارع ريف الرقة الشمالي. ومنذ تحرير الجيش الحر مدينة تل أبيض أعلى النهر، في أيلول 2012، ثم صعود جبهة النصرة، فولادة داعش منها فتمددها ثم انكماشها، فصعود حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي pyd؛ صار حوض البليخ وفضاؤه المجاور مسرحاً لحوادث كبرى تعدى تأثيرها محافظة الرقة إلى المشهد السوري كله.

في هذا الملف تحاول «عين المدينة» عرض تعريف اجتماعي تاريخي اقتصادي بهذا الحوض، وتلمس العوامل التي دفعت مجتمعاته الصغيرة إلى اتخاذ مواقف غير حاسمة إزاء القوى المتعاقبة عليه، وعرض آراء مختلفة عن واقعه اليوم في ظل سلطة الإدارة الذاتية.

يصعب التحديد الدقيق للزمن الذي استقرت فيه مجموعات من عشائر المشهور والبوعساف والفدعان والعفادلة والمجادمة وغيرها لتعمل بالزراعة في قرى البليخ، وكذلك الحال مع مجموعات أسبق من عرب الهنادة والتركمان. لكن، وعلى ما يظهر من روايات مكتوبة وشفوية، فقد استقرت هذه المجموعات في المنطقة على مراحل ابتداءً من الربع الأخير للقرن التاسع عشر. حينذاك، وحتى خروج العثمانيين من سوريا بعد عام 1916، كان النصف الأعلى من حوض البليخ يتبع لولاية أورفا، وكانت الأراضي المزروعة فيه مملوكة بمعظمها لإقطاعيين أتراك يديرونها عبر وكلاء عرب، سيتحول بعضهم، بعد ترسيم الحدود مع تركيا عام 1921، إلى ملاك جدد. في حين كانت الأراضي المزروعة في النصف الأسفل من النهر ملكاً بمعظمها لعائلات مشيخية عشائرية، أبرزها فرع من أسرة المهيد الفدعانية البدوية متنامية النفوذ. خلال الانتداب الفرنسي وحتى منتصف خمسينات القرن الماضي، وقع حوض البليخ بمعظمه في الدائرة المباشرة لنفوذ مجحم بن مهيد، زعيم عشيرة الفدعان (بطن من عنزة)، من عاصمته المجاورة عين عيسى. وكان العمل الزراعي يعتمد آنذاك على وسائل وأعراف الإقطاع التقليدي، قبل أن تجلب الوحدة مع مصر (1958-1961) أول التغيرات الهامة في الزراعة، وفي جوانب التعليم والصحة والخدمات، بما حملته قوانين استصلاح الأراضي التي أصدرتها سلطة الوحدة من آثار. وقد أسهمت هذه القوانين، إلى جانب دخول الآلة والري بالمضخات، في تحقيق تطور جزئي في قرى البليخ، فتوسعت بعض القرى الأقدم (عين العروس وخربة الرز وبوز الخنزير وعلي باجلية والدوغانية وحمام التركمان وصكيرو وخنيز وتل السمن والهيشة) وولدت قرى ومزارع جديدة على طول النهر الممتد لمسافة 110 كم من منبعه شمالاً من عين العروس وحتى مصبه على الفرات في قرية طاوي رمان شرق الرقة.

بين عامي (1966-1970) أسهمت الجمعيات الفلاحية الوليدة، إلى جانب حزمة جديدة من قوانين التأميم واستصلاح الأراضي التي أصدرتها سلطة البعث يسارية الهوى آنذاك؛ في توسيع دائرة الاستقرار والنمو في حوض البليخ، وازداد عدد المدارس الابتدائية التي سيشكل بعض طلابها، ممن سيكملون تعليمهم في مدينتي حلب والرقة، الشريحة الأولى من متعلمي هذا الريف الفقير المستبشر خيراً بحكامه البعثيين.

وخلال العقد الأول من عهد حافظ الأسد ظلت الانطباعات الحسنة الموروثة عن البعث فاعلة في وعي فلاحي البليخ الذين أكملوا استقرارهم في القرى المعروفة اليوم (انظر الجدول المرفق). ولم يؤد الجفاف التدريجي لنهر البليخ في نصفه الأسفل ابتداء من منتصف عقد الثمانينات[1] إلى تغير هام في هذا الوعي، رغم مظاهر الخراب والبؤس التي تجددت في المنطقة نتيجة الجفاف، وما تبعه من موجات هجرة إلى العشوائيات الطرفية الناشئة حول مدينة الرقة، أو سفر الشبان إلى الأردن ولبنان بحثاً عن فرص عمل. لم تتحسن الأحوال العامة إلا مع إطلاق سلسلة مشاريع البليخ الزراعية في عقد التسعينات، بجرّ مياه نهر الفرات من بحيرة سدّه في الطبقة لإرواء مساحات شاسعة من الأرض في حوض البليخ، وصل مجموعها في العقد الماضي إلى نحو 50 ألف هكتار استفاد منها أكثر من 60 ألف نسمة من سكان الحوض الذين يبلغ مجموعهم -باستثناء تل أبيض- نحو 110 آلاف نسمة، حسب تقديرات مهتمين بالزراعة من أبناء المنطقة. رافقت النهضة الزراعية الأخيرة في الحوض ممارسات تمييزية لصالح المتنفذين الأكثر ولاء للنظام، وأدخلت تعديلات جانبية في مخططات المشاريع بتأثير من بعض المسؤولين الكبار الذين استولوا على أراض في المنطقة، مثل محمد زهير مشارقة، نائب حافظ الأسد، قرب قرية صكيرو على البليخ، وفايز النوري، رئيس محكمة أمن الدولة، في قرية الفاطسة 15- كم غرب النهر- إلى جانب تأثيرات مصطفى العايد ابن قرية خربة الرز والرئيس التاريخي لاتحاد الفلاحين، مقابل حرمان مستحقي هذه المشاريع، وخاصة في القرى الشمالية من حوض البليخ التي جفت أراضيها هي الأخرى مع نضوب عين العروس منبع النهر في العام 1994، بفعل الاستجرار العشوائي من الآبار المحفورة في حرم المنبع أو على مقربة منه.

الثورة المفاجئة ثم داعش فقسد

وبالطبع صُوِّرت مشاريع الري هذه، التي أسهمت فعلاً في تطوير الريف الشمالي للرقة واستقراره، كمكرمات من النظام. لتأتي الثورة مفاجأة غير مفهومة لدى الأغلبية، خاصة مع إدراكهم قوة النظام وتغلغله عبر شبكات الموالين. «ماذا تريدون؟» كان السؤال الأول الذي يسأله مؤيدو الأسد لمن أظهر حماسة للثورة وخرج ليتظاهر كل جمعة في مدينة الرقة أو في تل أبيض. وبدا السؤال مشروعاً لدى آخرين. وفُهمت الثورة على أنها اضطراب عابر، قبل أن يتحول إلى خطر مع شيوع مظاهر الفوضى والانفلات بعيد خروج المنطقة عن سيطرة النظام. عوامل عدة لعبت

دورها في صناعة هذا الموقف الأهلي، أهمها براعة النظام في إثارة الانقسامات وضرب المجموعات العشائرية والعائلية ببعضها، وكذلك التنوع الشديد لعشائر البليخ التي تتجاور أو تتساكن في تجمعات صغيرة لا يزيد سكان أكبرها على 20 ألف نسمة في قلة من البلدات، ما سهل على النظام سحق أي احتضان أهلي محتمل دون أن ينقلب الناس إلى مدافعين عنه.

جاء الجيش الحر، جاءت النصرة، جاءت داعش، وجاء pyd أخيراً، وقبلهم النظام. والغالبية في حوض البليخ تقف عاجزة عن اتخاذ موقف حاسم من هذه القوى العاتية، إنهم ينشدون السلام فقط دون أن ينالوه. لقد فتكت بهم داعش وجعلت سبل الحياة العادية أمامهم مستحيلة، لتكون الخيار الأسوأ بين الجميع، خاصة مع انهيار أو تآكل معظم مكتسباتهم الاقتصادية السابقة. وتدريجياً، مع طرد داعش من قرية وراء قرية في حوض البليخ، منذ الأشهر الأخيرة لعام 2015؛ استعاد الناس بعض مظاهر حياتهم العادية في ظل سلطة pyd أو إدارته الذاتية، رغم الجدل الواسع والعميق الذي يثيره هذا الحزب وتثيره هذه الإدارة في مجتمعات البليخ الصغيرة ومجتمع الرقة بشكل عام.

يرى صالح هنداوي، مدير المدرسة السابق وعضو المجلس المحلي -الحر- لمحافظة الرقة حالياً، أن pyd سلطة احتلال، ويرفض المسوغات التي تسوقها شخصيات عربية منخرطة في نشاطات موالية للحزب، سواء في إدارته الذاتية أو في «قوات سوريا الديمقراطية» التي أسسها بمشاركة عرب، فهؤلاء «يوالون pyd لأنه من رائحة النظام الذي يوالونه في الأصل، وأملاً بعودته»، حسب ما يقول الهنداوي الذي يصنف موالي قسد اليوم إلى ثلاث فئات: فئة قاست الآلام والمظالم إلى حد كبير في عهد داعش ما ولد لديها ردة فعل ترحب بأي قوة تطرد التنظيم، وفئة موالي النظام، وفئة الانتهازيين من «أصحاب المصلحة وأتباع القوة مهما كانت، من النظام إلى داعش إلى قسد، وإن ظهرت قوة جديدة سيبدون لها مظاهر الولاء والطاعة».

أبو محمد، وهو الاسم الذي اختاره عضو إحدى لجان مجلس الرقة المدني الذي أسسته «قوات سوريا الديمقراطية»، يرفض اتهامه بتأييد النظام ويدافع عن المجلس الذي ينتمي إليه بأنه قام لـ«خدمة الناس» وتحقيق الحد الأدنى من مستلزمات عيشهم المفقودة «بعد خمس سنوات من الهلاك والحرب والفوضى» كما يقول، «لأن الناس ملت وتعبت وتريد ترجع على بيوتها بس». موال ثان للإدارة الذاتية من بلدة الهيشة في حوض البليخ، رفض هو الآخر التصريح باسمه، أبدى تفاؤله باستقرار بلدته وعودة ما تبقى من نازحيها الذين شردتهم الحرب وفق قوله: «بلشت الناس ترجع على بيوتها وتفلح أرضها، وما حدا له عندنا شي. الناس تريد الأمان والستر بس».

في حزيمة 20- كم شمال الرقة- التي بلغ عدد سكانها 5000 نسمة تقريباً قبل الثورة، أسست الإدارة الذاتية «كومين» (مجلس إدارة محلي) في الأسبوع الأخير من الشهر الماضي. وألقى عادل العلي، عضو مجلس الرقة المدني وابن حزيمة، في اجتماع تأسيس كومينها الذي انعقد في منزله، كلمة قال فيها إنهم «كمجلس محافظة الرقة المدني... يشكلون الكومينات في القرى، وإنهم ينظمون أنفسهم بالكومينات، ومن خلالها يعملون على خدمة المجتمع»، حسبما نقلت وسائل إعلام مؤيدة لـpyd غطت الاجتماع. ولكن شاباً مناهضاً للحزب نقل عن مشاركين في الاجتماع ذاته جهلهم حين حضروا بسبب انعقاده، ودهشتهم من «تشكيل الكومين وفكرته ولفظه»، لكنهم اضطروا إلى المسايرة لعجزهم عن تغيير شيء أو خوفهم من تهمة «موالاة داعش». ورغم ذلك، حسب ما يروي الشاب اللاجئ في تركيا لـ«عين المدينة»، فإن مصوري قسد «صوروا النساء الحاضرات خلسة لإظهار مشاركة المرأة ودورها في مسرحية الكومين»، ما أدى إلى احتجاجهن واحتجاج البعض، دون جدوى.

قسمت الإدارة الذاتية حوض البليخ والمنطقة الأوسع شمال الرقة إلى جزئين؛ أتبعت الجزء الواقع شمال طريق الحسكة-حلب، عند قرية صكيرو، لمدينة تل أبيض، وأخذت بتأسيس كومينات فيها، فيما لم تحسم بعد تابعية القرى جنوب الطريق ولكنها بدأت، وببطء منذ الشهر الماضي، بتأسيس كومينات فيها أيضاً. وحسب معارضي الإدارة فإن اللجان الأمنية في الكومين هي الأشد أهمية بين اللجان الأخرى التي تتفاوت في نشاطها من كومين قرية إلى آخر. يسخر الهنداوي من المشاركة العربية في الإدارة وفي «قواتها الديمقراطية»، طالما ظل «المحققون الأمنيون، والسجانون، وموزعو الذخيرة والسلاح، وغيرهم من أصحاب القرار الفعلي، أكراداً» حسب ما يقول في ملاحظاته على «شكلية شعارات الديمقراطية وأخوة الشعوب التي يرفعها pyd». ويتذكر واقعتي اعتقاله من داعش وإهانته لأنه من أنصار الثورة، متهماً بموالاة «الردة والمجالس الكفرية»، ثم اعتقاله ثانية من قبل الحزب وإهانته أمام عائلته وأقاربه بتهمة موالاة داعش. ويقول معلقاً على شؤون الإدارة غير السياسية: «إدارة يختلف فيها سعر المازوت، ويكون أرخص شرق البليخ لأنه تابع لكانتون الجزيرة ويكون أغلى غربه لأنه الأغلبية عربية، إدارة عنصرية». والأمثلة التي يضربها على ذلك كثيرة: «لما تحكي كردي راح تمر بسرعة من الحواجز، وراح تاخذ دور أسرع عالأفران، وراح تكون بمأمن من اتهامك أنك داعشي أو صدامي، وهي التهم العاجلة لكل من يتردد في تأييد pyd». وفي الواقع يسجن الداعشي 3 أشهر لدى الإدارة، فيما يسجن المنتسب سابقاً إلى الجيش الحر 9 أشهر وربما أكثر، وحسب الرشوة والواسطة كما يقول. يتمنى الهنداوي على الفاعلين في حوض البليخ أن يكونوا على قدر المسؤولية الملقاة على عاتقهم اليوم، ويحذر من الآثار اللاحقة التي ستخلفها «الممارسات العنصرية لـpyd في حق أغلبية السكان العرب».

يكرر أبو علي شويمي، وهو عضو المجلس المحلي -الحر- لمحافظة الرقة، مآخذ الهنداوي على الإدارة الذاتية، ويرى أن مشاركة سكان البليخ أو مسايرتهم لـ«قسد» مسايرة مؤقتة ناجمة عن قسر واضطرار، ويتوقع فشلاً ذريعاً للإدارة الذاتية ستعقبه صراعات معقدة عربية-عربية، وكردية-كردية، وعربية-كردية بطبيعة الحال، وفق ما قال.

خلال السنوات الماضية، وفي معظم قرى البليخ، انهارت البنى التحتية لقطاعات الخدمات -الكهرباء ومياه الشرب- والصحة والتعليم. وانهارت البنية التحتية للعمل الزراعي ممثلة في منظومة الرعاية والتخطيط الحكومية، وتضررت إلى حد كبير منظومة الري بفعل توقف أعمال الصيانة، وتخربت أجزاء متفرقة من شبكة الأقنية وخطوط الجر والبوابات. فيما يعد ارتفاع أسعار الوقود في القرى الشمالية من البليخ المشكلة الأولى التي يعاني منها الفلاحون إضافة إلى المشاكل الرئيسية الأخرى، كارتفاع أسعار السماد والبذار والأدوية الزراعية وتكاليف تشغيل الآلات الزراعية.

الخيوط والأصابع

طارق عبد الغفور

إذن فقد خرجت اللعبة عن السيطرة إن بالنسبة للنظام أو بالنسبة للمعارضة، والذي يزفّ هذه البشرى إلى الشعب السوري المكلوم هو السيد منذر ماخوس، وهو شخص يتمتع بثلاثة ألقاب نعرفها يقيناً فهو عضو جمعية المؤتلفين «المساهمة المغفلة» التي التزمت إدارة أزمة الشعب السوري فساهمت بأدائها البائس دائماً في إيصالها إلى هذا الحضيض، وهو الناطق الرسمي باسم هيئة المفاوضات التي شكلتها هذه الجمعية لتتفاوض مع ممثل المجتمع الدولي --عفواً مع نفسها- في أجواء جنيف الحالمة، حول إيجاد سبلٍ لانتقال سلمي للسلطة في سورية تنهي معاناة هذا الشعب، لا يملك لا هو ولا من يتفاوض معه أية طريقة لإيجادها وهو سفيرها في باريس -وهي أيضاً مدينة حالمة- ولسنا ندري إن كانت هناك أية القاب أخرى.

ويجب أن يكون مفهوماً أننا لا نقصد أي شكلٍ من الأشكال أعضاء جمعية المؤتلفين بشكلٍ شخصي لأننا لا نعرفهم، وإنما نقصدهم بصفتهم الاعتبارية، وهذا حقٌ لنا لا يُمارى فيه.

من هنا نقول إن السيد ماخوس قد قال نصف الحقيقة، وسكت عن نصفها الآخر الذي هو أن سبب خروج اللعبة عن السيطرة هو الأداء البائس لهذه الجمعية منذ بداية تشكيلها لتحلّ محل سلفها المجلس الوطني الذي ألمح رئيسه الدكتور برهان غليون في مقالٍ له إلى ما يدعو إلى التشكيك في دوافع الاستبدال.

ومع كل الانتكاسات التي أصيبت بها جمعية المؤتلفين، فإنها لم تُخضع أداءها للمراجعة، وإن هي فعلت إعلامياً فإنها ظلّت تسير في طريقها الخاطئ نفسه.

قلنا على صفحات الحرمل، وقبل أن يقول أعضاء الجمعية أنفسهم إنها سلمت مقاليد أمورها لمن يدفع ويموّل ما تقوم به، وقلنا مراراً إنها لم تعمل كما ينبغي على تقديم نفسها ممثلاً لثورة الشعب السوري عندما كانت ثورة حقيقية قبل أن تسرقها وتنحرف بها الفصائل التي الصقت بنفسها وبغير حق الصفة الإسلامية، وها هو بعضها اليوم، وتحديداً حركة أحرار الشام يتبنى علم الثورة تبنياً شكلياً فيه انتهازية واضحة، واستخفاف جلي بهذا العلم عندما يصدر هذا التبني عن فتوى يصدرها مكتب الدعوة والإرشاد فيها منوهاً إلى أن بعض الرايات الموجودة اليوم في الساحة السورية -هل راية داعش من ضمنها مثلاً- أفضل من علم الثورة وأكثر دلالةً على هوية السوريين الإسلامية، وذلك بعد أن أسهم هذا البعض بنفسه في إيصالها إلى هذا الدرك.

وقلنا على صفحات الحرمل أيضاً إن من أكثر الأمور أهمية أنه كان على جمعية المؤتلفين أن تعمل على تقديم ثورة الشعب السوري إلى الإعلام الغربي عامةً والأمريكي خاصةً على أنها ثورة شعب ضدّ الظلم وفي سبيل الحرية والكرامة، وهي قيمٌ يؤمن بها الغربيون لما لذلك من تأثير على تقييم الرأي العام الغربي للثورة إيجاباً وللنظام سلباً، لكن الجمعية لم تفعل وتركت الساحة الإعلامية الغربية للنظام، يصول فيها ويجول ويغدق الأموال على شركات العلاقات العامة لتساعده على قلب الحقائق، وعلى إظهار نفسه مقاتلاً للإرهاب الثائر عليه، وفي هذا السياق نسأل السيد ماخوس كم مرة ظهر على ساحة الإعلام الفرنسي ليشرح حقيقة ما يجري في سورية؟

وهذه نتائج نشاطه سفيراً لجمعية المؤتلفين في باريس، أن يصرّح الرئيس الفرنسي الجديد ماكرون أن فرنسا لم تعد تشترط زوال الأسد لحلّ الأزمة في سورية وأنها لا ترى بديلاً له. أي نجاح لسفارة المؤتلفين في باريس في الحصول على هكذا مهانة يتلقونها ممّن يسمونهم «أصدقاء الشعب السوري»، ومرة أخرى فليس المقصود شخص السفير الذي أبلغه الفرنسيون أن ما يجري داخل اجتماعات الأصدقاء مغاير تماماً لما يُقال للإعلام، ومن المفترض أنه كسفير يعلم ذلك من خلال علاقاته واتصالاته، ولا تنفع التطمينات الدبلوماسية التي قيلت له بتبديل الصورة القاتمة للموقف الفرنسي.

ولننظر إلى توقيت تصريح الرئيس الفرنسي، فهو يأتي في أعقاب زيارة قام بها ولي عهد دولة الإمارات إلى فرنسا الأمر الذي لا ينأى بدولة الإمارات عن الجهود المبذولة لإعادة تأهيل الاسد، ويكشف الدور المشبوه الذي تقوم به لخنق المعارضة التي تمثلها جمعية المؤتلفين، تمهيداً لخلق معارضة بديلة تُحقق تمنيات السيد جهاد مقدسي لأصحاب الضمير لدى طرفي الحرب في سورية في هدم الجدار الفاصل بينهما، وتحقيق انتقال سياسي مشترك مبني على «قراءة واقعية غير عاطفية» لبيان جنيف والقرار 2254، والواقعية هنا تعني التعاون مع النظام ولا شيء آخر كما تسِم العاطفية مطلب الحرية والكرامة.

وهذا السيد سالم المسلط الناطق الرسمي الآخر باسم جمعية المؤتلفين يصف المعارك المسلحة ما بين الفصائل الإسلاموية وبين بعضها والجيش الحر بأنها خلافات بسيطة لا تدعو إلى القلق كما قال بل إنها تُشير بوضوح إلى الخفة التي تتعاطى بها جمعية المؤتلفين مع الأحداث التي عصفت ولا تزال تعصف بمجريات الأزمة السورية.

وهذا السيد فايز سارة الذي لا ندري إن كانت قُبِلت استقالته من جمعية المؤتلفين أم لا، يكتب في جريدة الشرق الاوسط مقالا لا يبدو أنه راجعه قبل النشر، فهو يعتمد معلومات غير دقيقة عن الأوضاع في الرقة، ويضع سيناريوهات لما ستشهده الرقة تنضح بالتيئيس، وأكاد أقول براحة ضمير إنها تنضح أيضاً بالإعجاب بداعش وتكتيكاتها القتالية، الأمر الذي يتماشى مع ما يخططه اللاعبون الذين أمسكوا بخيوط اللعبة عدما أفلتت من أصابع المعارضة، وربما من أصابع النظام.

هذه النماذج التي عرضناها، وهي غيض من فيض من الأشخاص والتصريحات تقدّم صورة عن تعاطي جمعية المؤتلفين للأزمة السورية الذي أوصلنا إلى ما نحن فيه، وهنا نقول لأعضائها: إن أيديكم هي التي أوكت وإن أفواهكم هي التي نفخت، فتباً لكم ولا بارك الله في أيديكم ولا في أفواهكم وعليكم من الله ما تستحقون.

الفرات المتهم بالإرهاب!

إبراهيم العلوش

ما تزال الطائرات تفتش عمن يشرب ماء الفرات، تفتش عروقه المرتوية من الظمأ، وتتفقد جسده المحاصر، وتهدي من تشاء قذيفة ترفعه إلى السماء ليلقي نظرة أخيرة على مدينته التي تتمزق مثل أشلائه وتتساقط بعد قليل على ضفة النهر!

في المساء تُغير الطائرات، وفي النهار تأتي قذائف المدفعية والصواريخ بلا مواعيد، وتفجيرات داعش تنبع من الأرض مستهدفة ما تبقى من البشر ومن الحجر في الرقة.

في الصباح يخرج أهل الرقة من مغارة الليل ظامئين، ويتسللون إلى الفرات علّهم يستطيعون أن يشربوا من النهر، فالعطش والخوف جفف حلوقهم، وحلوق أطفالهم الذين لم يموتوا بعد، فالرقة تعيش هذه الأيام على الصواريخ والقنابل وأصواتها المدوية فهي الماء، وهي الكهرباء، وهي ما تبقى من الهواء، الدخان يلون المدينة وتنعكس كآبته على الوجوه وعلى الجدران التي ما تزال واقفة بإصرار قبل أن تأتي القذائف التي تهدّها.

قبل أن تصل الدفعة الأولى من الواردين إلى النهر تدوي قذيفة وترفع أشلاء أحد العطشى إلى السماء، وتدور دوامة من التراب ومن الضغط، ويتضاعف الخوف في رؤوس بقية الظامئين.

كنا نخاف الذهاب إلى الفرات عندما كنا صغاراً، فكانت أمهاتنا وآباؤنا يخافون علينا من الغرق الذي يبتلع الصبيان كل أسبوع، وفي الصيف كل يوم أو بضع أيام يرتفع صياح أم ثكلى بابنها الغريق في النهر، وكنا نرى رجال الإطفاء وهم يتحولون الى غواصين بحثا عن ابن جيراننا أو جيران أحد أصدقائنا، وتبدأ القصص عن وصوله إلى الحمرات أو الى الكرامة، وفي اليوم التالي تبتعد القصة لتجد الجثة في دير الزور، واذا حل اليأس فيذهب بعض الأقارب إلى البوكمال بانتظار الجثة التي ستطفو على وجه الماء بعد أن امتلأت أحشاؤها بالماء، وبعد أن اتلف السمك الأجزاء التي كانت تمنع الجثة من الطفو، عندما تعلق بالطحلب أو بسيخ معدني غارق من زمان قبل مجيء السباح الغارق إليه.

اليوم يتربص الرقاويون بالفرات وهو يعبر أمام عيونهم خائفاً مثلهم من القصف ومن القذائف، فيسرع بمن ركب قاربه لينجو من الموت علّه يصل الضفة الأخرى قبل الانفجار القادم، يتربصون بالنهر خائفين، وهو يعبر بهم خائفاً، يا لمشهد الصيد الكئيب.. الصياد والفريسة خائفان!!

وما إن ينتهي آخر انفجار حتى يخرج الناس من مخابئهم إلى شاطئ النهر ليملأوا أوانيهم بالماء، يندفعون خائفين ليصلوا إلى ضفة نهر خائف ومستعجل على عبور مجال الموت في الرقة، يعبر مغطى بالدخان وبالحطام الذي يتعالى فوقه من بقايا البيوت وشظايا الصواريخ، وسخام الحريق، ومما تبقى من جثث تمزقت ولم تتحول إلى رماد حتى اللحظة.

ينظر أحد الشاربين إلى الجسر القديم الذي تحول إلى ركام، ولم تعد الخطى التي كانت تسير فوقه قادرة على الوصول إلى الضفة الأخرى، يعاود الرجل شرب الماء، ويتأكد من كنزه المائي الذي امتلأت به جراره البلاستيكية التي أرسلها معه الجيران لملئها، علّهم يستطيعون الشرب منها وغسيل وجوههم التي لونها السخام المتطاير في الهواء بالأسود، إنهم ينتظرون جرارهم ويدعون ألا يكون جارهم الطيب قد تطاير في آخر انفجار وصل صوته من صوب النهر...

هذا الصباح لم تعبر صفحة النهر غير عدة جثث للشهداء، وعبر خيال طائرة بلا طيار كانت تتفقد الشاربين وتفتش كاميراتها في لحاهم عن لغم أو مفخخة، فلم تجد غير ماء الفرات الذي بللها وبعث السرور في نفس صاحبها، وهو يخنق شهقة الفرح والمفاجأة من برودة الماء العذب، الذي كان في سالف الزمان يجعله يطلق عتابا أو موليا، أو يتذكر حبيبته، أما اليوم فعليه أن يخنق أنفاسه حين يصل إلى نهر الجنة، وعليه أن يتوقع الغارة أو القذيفة القادمة مع جريان كل قطرة ماء، فالأحبة هاجروا، أو تمزقت أجسادهم، أو ما يزالون في بيوتهم ينتظرون المجهول، والعتابا والموليا تتحول اليوم إلى فراقيات ومرثيات و(نعّاوات) موشحة بالسواد، كأنما الطائرات والقذائف لوثت حتى اللغة بالسواد، تماماً مثلما لوثت الوجوه بالشظايا وبالسخام...

وما يزال الفرات المتهم بالإرهاب يجري هارباً بجثث الشهداء، وينظر بهلع إلى مدينة يتم تدميرها ليل نهار!

الرقة.. «جدران الدم» وفرات الأمل

راشد الصطوف

منذ طرد داعش من الفلوجة في العراق، وتل أبيض شمال سوريا، بات واضحاً أن مرحلة الانتصارات الخاطفة والصاعقة التي أمدت التنظيم بالحياة وعوامل القوة المتنامية على كافة الصعد قد انتهت، وأنه بات في حالة انكماش ودفاع استراتيجي وصلت حد الانهيار في الكثير من الجبهات بعد هزيمته في معارك منبج والباب والهزائم المتلاحقة في معركة الموصل بشكل خاص (مع أن البعض يفسر ضعف قدرة داعش القتالية هذه بعقلية المؤامرة المعتادة، وأن ما يجري هو مجرد عمليات استلام وتسليم بين شركاء بعد أن أنهت داعش وظيفتها؟!..).

واليوم وعلى أبواب طرد التنظيم من الرقة، وخلاصها من هذا الطاعون، من الضروري إعادة قراءة وتقييم الوقائع المرتبطة بمعركة الرقة، واستجلاء ما يمكن أن تتمخض عنه من تغيرات وآثار على مجمل الوضع السوري.

إنما وقبل كل شيء ينبغي التأكيد على أولوية حماية المدنيين في هذه المدينة المنكوبة التي عانت الويلات من عصابات داعش، وهي تعيش الآن في أوضاع انسانية كارثية بعد إطباق الحصار عليها من قبل قوات التحالف الدولي، وزيادة وتيرة القصف الجوي والمدفعي العشوائي على الأحياء السكنية، دون الأخذ بعين الاعتبار قوانين حماية المدنيين أثناء الحروب وضرورة تأمين فرص وممرات آمنة لإجلائهم من مناطق الاشتباك إلى مخيمات تحفظ حياتهم وكرامتهم. بل على العكس من ذلك فثمة الكثير من الشهادات التي تشير إلى تعرض النازحين في المخيمات إلى ممارسات جائرة من قبل الأجهزة الأمنية للبيدا، والتي تعاملهم كرهائن داخل هذه المخيمات، دون أي إشراف قانوني أو مدني مستقل من أية جهة مختصة دولية كانت أم محلية.

ونحن ومع إدراكنا التام لأهمية الجانب الأمني في هذه المرحلة الدقيقة من المعركة ضد داعش الغدر، إلا أننا نرفض أن يكون هذا سبباً في انتهاك حقوق الأهالي وكرامتهم، وندعو للسماح للمنظمات الإنسانية والحقوقية المختصة بالتواجد داخل هذه المخيمات والتحقق من وضعها الإنساني وتقديم المساعدات اللازمة، لقطع الطريق على أية انتهاكات محتملة أو ممكنة، وعدم تغذية أسباب العداء والكراهية في منطقة لم تشهد سابقاً أي مظهر من مظاهر الكراهية والتمييز والعداء فيما بين أهلها باختلاف مللهم ونحلهم.

بعد ذلك قد يكون من النافل التذكير بأن مؤسسات الثورة -والائتلاف خاصة- سبق لها وأن أدارت الظهر لأكثر الأحداث مفصلية في تاريخ الثورة السورية عندما تم طرد النظام من الرقة في آذار /2013/، فأهدرت بذلك فرصة ثمينة كان يمكن أن تشكل منعطفاً في مجرى الأحداث في الاتجاه الذي يخدم مصلحة السوريين وأهداف ثورتهم. ونأمل ألا نعيد تكرار الممارسة ذاتها، مع الإقرار أن المشهد اليوم أكثر تعقيداً وتشابكاً وصعوبة بكثير مما كان عليه في آذار /2013/، حيث باتت أولوية محاربة الإرهاب، وما يتفرع ويتصل بهذه الأولوية من سعي حثيث ومحموم للقوى الفاعلة لإعادة رسم خارطة التموضع والنفوذ على الأرض، وتراجع الاهتمام بالحل السياسي الذي يكفل رحيل النظام، هو أبرز ما يميز السياق السوري الراهن في ظل غياب شبه تام لما يسمى بقوى الثورة.

فالصراع تحول في عموم سوريا إلى حرب تخاض فيما بين قوى الثورة المضادة المسلحة المتعددة الوجوه والمشاريع والمرجعيات، وليس ثمة ما يربط أطراف قليلة منها بأهداف الثورة إلا خيط ضعيف جداً يتصل بالخطاب أكثر مما يرتبط بالفعل، وذلك لا يعني بالطبع أنه يتوجب علينا إدارة الظهر لهذه الحرب والسياسات المرتبطة بالقوى المؤثرة فيها على اعتبار أن لا ناقة لنا ولا جمل فيها. فهذه الحرب على عجرها وبجرها هي من سيقرر بنهاية المطاف مصير سوريا والسوريين. وهذا ما يدفعنا إلى الاعتقاد أن المعركة التي يخوضها التحالف الدولي ضد الإرهاب وحلفائه على الأرض ستلعب دوراً حاسماً في مستقبل سوريا.

كما نعتقد أن الوضع السوري سيستقر بعد طرد داعش من الرقة ودير الزور على ثلاث مناطق للنفوذ ومناطق تنازع ومناوشات:

1- منطقة النفوذ الأمريكي

2- منطقة النفوذ الروسي

3- منطقة النفوذ التركي

4- مناطق الاحتكاك وعض الأصابع

وعلى الرغم من أن الاستراتيجية الأمريكية تجاه مآلات الوضع السوري والمنطقة عموماً، ليست واضحة إلى الآن، إلا أن خارطة النفوذ الأمريكي في سوريا باتت جلية إلى حد بعيد، وهي تغطي كما نعتقد جغرافياً كامل شمال وشرق نهر الفرات إضافة إلى قوس البادية السورية المحاذي للحدود العراقية والأردنية، مع بعض الاستثناءات الاستراتيجية كمدينة منبج وجنوب النهر في محافظة الرقة، مع الأخذ بعين الاعتبار الوضع الخاص لبعض المدن كدير الزور والقامشلي والحسكة والتي

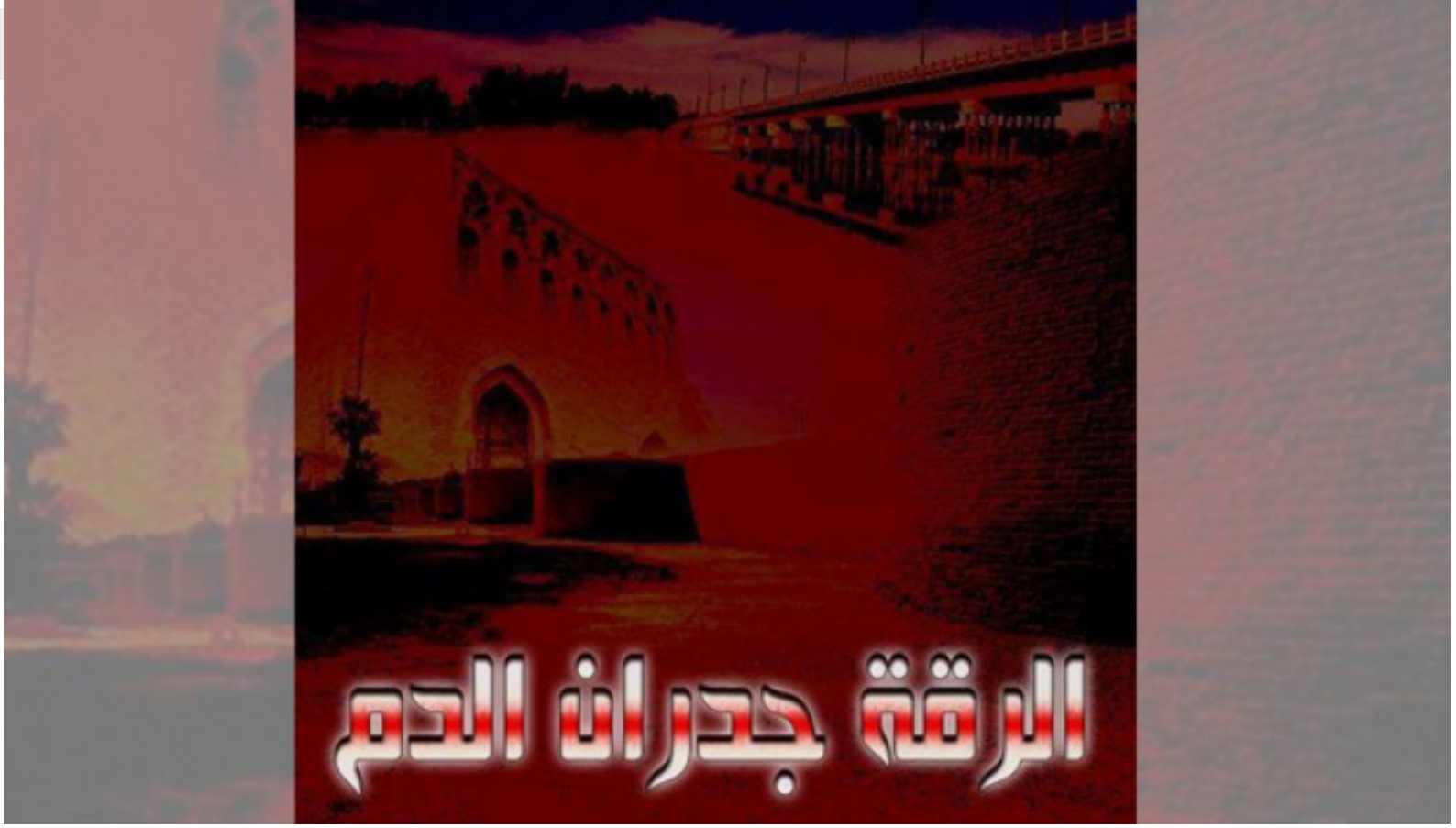

لم تحسم بعد جغرافية السيطرة فيها، وقد لا تحسم في بعضها ويظل النظام موجوداً فيها رمزياً على الأقل.

ويبدو لنا أن هذه المنطقة هي المنطقة الوحيدة بين المناطق الأربعة التي قد توفر هوامش معقولة لحضور ونشاط القوى الديمقراطية والمدنية، في حال تعاملت هذه القوى بإيجابية وفعالية مع الوقائع الموضوعية، مع ترجيحنا بأن هذه الهوامش ستكون محدودة وضيقة في المدى القريب، لكنها ستتسع أكثر فأكثر كلما تراجعت العوامل الأمنية، وكلما استعاد المجتمع عافيته بعد سنوات من استبداد داعش الكتيم وآثار الحرب المدمرة.

ومن هنا يفترض بنا، وبكافة القوى الوطنية الديمقراطية عدم التخلي عن مدينة الرقة مرة أخرى والعمل على التأسيس لحضور ميداني فعال إن كان مدنياً أم سياسياً، بما يساعد على استعادة المدينة لعافيتها، وأن يأخذ أبناء المحافظة زمام المبادرة بإدارة مدينتهم في إطار المشروع الديمقراطي الوطني السوري الجامع، عبر صياغة رؤية وآليات عمل متحركة وملائمة للوضع الجديد في هذه المنطقة، وتأخذ بعين الاعتبار الامكانيات والعقبات الواقعية، ويمكن أن تكون من بين أهم هذه الامكانيات هي وجود مجتمع أهلي غير خاضع للسلطة أو للتطرف، ومن بين أهم العقبات هي طبيعة المشروع السياسي للـPYD وبنيته الشمولية التي لا تقبل بأية شراكة حقيقية مع أي طرف كان. وبأية حال نعتقد أن أي خطة عمل من أجل الرقة ينبغي أن تأخذ بعين الاعتبار النقاط التالية:

-1 دعم المجتمع الأهلي والمدني في مدينة الرقة وريفها المحيط، والمساعدة بتعزيز دور وحضور كافة منظمات أبناء الرقة الأهلية والمدنية والإعلامية والحقوقية والإنسانية بكل السبل الممكنة.

-2 دعوة المنظمات والمؤسسات المدنية والإنسانية الدولية العاملة بالشأن السوري، إلى دعم عملية إعادة تأهيل المدينة والمساعدة بالتأسيس لمشروع وطني ديمقراطي تكون الرقة نموذجه الجاذب والنواة ذات المصداقية لعقد اجتماعي بهوية سورية واحدة وموحدة.

-3 تجنب اللغة الإقصائية والتحريض على الكراهية بالتعامل مع الواقع الجديد، وفق رؤية متحركة تتعامل بمرونة مع الوضع الراهن المؤقت من أجل التأثير في عملية بناء المستقبل.

-4 الانتباه إلى أن الواقع الجديد سيخلق مع الزمن قوى جديدة، وعلينا بالتالي أن نكون مستعدين للتعامل مع التطورات التي لا بد أنها ستحصل في المرحلة التالية لما بعد داعش.

-5 العمل على تطوير وتعزيز التواصل مع الحكومة الأمريكية، وبشكل خاص المؤسسات والمنظمات العاملة في الشأن السوري، والتأكيد بشكل دائم في هذه العلاقة على خمسة نقاط رئيسية:

آ - أهمية دعم وتعزيز حضور القوى الديمقراطية في المناطق التي يتم طرد داعش منها

ب – أهمية وجود شراكة حقيقية في إدارة شؤون هذه المناطق، وعدم استئثار قوى الأمر الواقع بالسلطة وتوظيفها بخدمة مصالحها الخاصة والتي قد لا تتطابق بالكثير من المواضع مع استراتيجية محاربة الإرهاب، ونزع فتيل الصراعات العرقية في المنطقة.

ج – ضرورة إيجاد صيغة تسوية مقبولة بين الحكومة التركية والـPYD، والسعي إلى فصل ملف الصراع في تركيا بين الحكومة والـ PKK عن الوضع السوري والعلاقة مع الـ PYD، والتأكيد بوجه خاص في هذا الإطار على أهمية وضرورة فتح معبر تل أبيض لما له من أهمية حيوية لمدينة الرقة وخصوصاً بالمستوى الإنساني.

د – ضرورة الإسراع بإعادة تأهيل البنية التحتية، وبصورة خاصة ما يرتبط منها بالخدمات الأساسية، ويتوجب بهذا الإطار التركيز على أولوية التعليم وبأسرع وقت ممكن.

ه – أهمية ملف المهجرين وضرورة عودتهم إلى بيوتهم بأسرع وقت، مع تفهمنا لأولوية العامل الأمني والذي ينبغي ألا يستخدم كذريعة لزيادة معاناة المدنيين وإذلالهم.

الرقة ودروس التحرير

أحمد العجيلي

أخيراً تمّ القضاء على تنظيم داعش في العراق بعد أن دامت معركة «الموصل» أكبر معاقل داعش في العراق شهوراً طويلةً؛ قضى خلال هذه الحرب آلاف المدنيين الذين لم يكن لهم لا ناقة ولا جمل في هذه الحرب التي كانوا هم على الدوام ضحيتها إما بسكاكين داعش أو قذائف التحالف، وإمّا ضحيّة النزوح واللجوء في الصحاري والبراري والمخيمات. وغير بعيدٍ عن الموصل، تعيش شقيقتها الرقة معركة الرمق الأخير التي تدور رحاها في شوارعها وأزقتها المحاصرة. تلك المدينة التي أعلنها يوماً ما البغدادي بأنّها عاصمة خلافته المزعومة، لتعيش منذ ذلك الحين واقعاً قاتماً استمر زهاء ثلاث سنوات، كان ولا يزال المدنيون هم الخاسر الأكبر في هذه الحرب.

حين تحررت الرقة في ربيع عام 2013 كان السوريون يعيشون أعراس التحرير التي تقام في كل بلدة أو مدينة سورية تتحرر من ربقة نظام الأسد وشبيحته، وكانت الرقة كما سماها أهلها «عاصمة التحرير» تعيش مخاضاً عسيراً في ظل تلك الفوضى التي أعقبت طرد قوات الأسد من المدينة، حيث غدت عرضةً للنهب والسلب على يد كتائب السرقة التي استولت على مقدرات المدينة. كان الشباب الثوري داخل المدينة قد تحسس الخطر المحدق بهم وبمدينتهم، وخاصّة أن معظم الكتائب التي استولت على زمام الأمور قد أتت من خارج المحافظة، وجلّهم يفتقر إلى مشروع سياسي أو تحرري تجاه المدينة وأهلها؛ ضمن هذا السياق تداعى أبناء الرقة واتفقوا على دعم فصيلٍ عسكريٍّ يضمّ أبناء الرقة تحديداً بهدف حماية مدينتهم، وتسلم إدارتها من بقية الكتائب المسيطرة عليها، والسعي إلى الحفاظ على مؤسسات الدولة وإعادة تسيير أمور العامة حسب ما تمليه عليهم مبادئهم وأخلاقهم التي كانت حجر الأساس في ثورتهم منذ البداية.

وبعد أن تنكّر الائتلاف الوطني للرقة بوصفه الجسم السياسي المعارض المعني بإدارة المناطق المحررة، وأدار ظهره لها ولأهلها، ما خلا بعض المساعدات التي كانت تذهب لضعاف النفوس، لا يوجد أي دور مؤثر قامت به مؤسسات الثورة على اختلاف مسمياتها وأدوارها الوظيفية داخل الرقة المحافظة الأولى في سورية التي تتحرر بالكامل ريفاً ومدينةً. من هنا وجد نشطاء الرقة أنفسهم مسؤولين عن إيجاد حل لإدارة مدينة تعد من أكبر المحافظات السورية مساحةً، ناهيك عن العدد الهائل من النازحين الذين استقروا في الرقة إبّان تحريرها، فحاول بعض النشطاء من أبناء الرقة إيجاد تمويل كافٍ لهذا الفصيل الذي اعتمدوه من أبناء الرقة، وكنت شاهداً على حملة الدعم التي أطلقها ناشطو الرقة لدعم أبناء بلدهم بهدف حماية مدينتهم وإدارتها بأنفسهم، وكان ذلك خلال إقامتي القصيرة في السعودية عام 2013، حيث تجمّع أبناء الرقة المقيمين في دول الخليج يقتطعون من رواتبهم ومن أموالهم التي كانوا يرسلونها لأهاليهم في الرقة، ليتبرعوا بها لدعم هذا الفصيل، تدفعهم غيرتهم على مدينتهم وأهلها؛ وبالطبع لم يلق هذا الفصيل حديث النشأة سوى ما جادت به جيوب أبناء الرقة الذين أدركوا مؤخراً أنّ ما حكّ جلدك مثل ظفرك. حيث حاول بعض النشطاء إقناع الموسرين من أهل الخليج بهدف مساعدتهم لدعم هذا الفصيل، كما حاولوا إقناع العرعور، الذي كان المسؤول شبه الرسمي عن جمع التبرعات من دول الخليج وإرسالها إلى الكتائب المسلّحة داخل سورية، وحسب ما ذكره لي من قابلوه أنّه رفض رفضاً قاطعاً دعم الفصيل الثوري المراد تأسيسه في الرقة بحجة أنّه لا يحمل مشروعاً إسلامياً، وأنه أي العرعور، لا يمكن له أن يدعم إلا فصيلاً ينادي بشعاراتٍ إسلامية، وخاصّة أن هذا الفصيل ينادي بالحرية والديمقراطية التي يبغضها العرعور وأتباعه في السعودية. بعد أن فشل أبناء الرقة في دعم فصيلٍ عسكري يضمّ أبناء مدينتهم، دخل اليأس في نفوسهم، وأدركوا أنّ الأمور تسير باتجاهٍ غير الذي أرادوه لها، وخاصة بعد أن تغولت الكتائب الإسلامية داخل المدينة، وراحت تروّج لمشاريعها المشبوهة من خلال الترغيب بالمال أو الترهيب بالقوة من خلال فرض أحكامهم وتطبيقها بحدّ السيف؛ الأمر الذي جعل كثيرين منهم يهجرون الرقة بعد أن كثرت الاغتيالات في صفوفهم، وزادت عمليات الخطف والتشويل. فبقيت الرقة وحيدة تئن تحت وطأة حكامها الجدد.

اليوم تشارف الرقة على الخلاص من سواد دعش وظلمه، إلا أنّ الصفة التي رافقتها بوصفها عاصمةً للخلافة ستبقى وصمة عار على جبين الإنسانية، وعلى جبين كل المتخاذلين الذين تركوها عرضةً للاغتصاب من غربان داعش وغلمانهم؛ ولكن حتى لو نجح الأسد بتعويم الثورة ولو مرحلياً وتسويق فكرة محاربته التطرف والأصولية المتمثلة بداعش وأخواتها، إلا أنه لن ينجح في إعادة أولئك الذين ثاروا على ظلمه وجبروته. وهاهم يثورون من جديد على ظلم داعش وأشباهها، وسيثورون على كلّ ظالمٍ يخال له إعادة عقارب الساعة إلى الوراء.

الانهيار الاقتصادي ومآلات الأزمة..!

د. عبدالقادر العلي

الاقتصاد مجموعة قواعد ونظم اقتصادية تجتمع كلها في أطر موضوعية تسمى بمجملها القوانين الاقتصادية التي تتحكم بالنشاط الاقتصادي بمجمله ابتداءً بعمليات البيع والشراء البسيطة، وانتهاءً بحركة رؤوس الأموال الضخمة عبر البنوك العالمية، وانهيارها ليس بالضرورة في وقت الحروب الأهلية، وتوقف المؤسسات الإنتاجية عن العمل وهروب رؤوس الأموال وما يتبع ذلك من ارتدادات على الحياة الاجتماعية، ولكنها تبقى أسوأ الحالات التي يمر بها اقتصاد أي مجتمع لأن الحروب الأهلية تقضي على مقومات الاقتصاد بالكامل، وأولها البنية التحتية التي يصعب إعادة بنائها بالمقارنة مع الأزمات الاقتصادية المتمثلة بانهيار العملة الوطنية فقط، ففي حالة الحروب الأهلية يتحول الاقتصاد الوطني من اقتصاد منتج إلى اقتصاد مستهلك يستنزف خيرات البلد من خلال توفير جميع المنتجات عبر الاستيراد، مما يفاقم الأزمة أكثر مما هي عليه من تأزم. هذه الحالة تدفع القائمين على السلطة إلى التوجه للبنوك الخاصة أو صندوق النقد الدولي للاستدانة مع الفوائد العالية التي تضيف أزمة أخرى تتمثل بعجز الدولة عن إيقاف التضخم لسنوات حتى لو انتهت الحرب الأهلية المدمرة.

أزمة الثلاثينيات في القرن المنصرم التي اجتاحت أوروبا كانت درساً وعبرة للدول والاقتصاديين على حد سواء، الأزمة التي استمرت خمس سنوات انهارت فيها مؤسسات عملاقة، وأعلن عدد من البنوك إفلاسه، وعمّت البطالة جميع البلدان الأوروبية، حتى أصبح كيس النقود يعادل كيساً من الخبز، حينها أخذت الدول احتياطاتها اللازمة، وسنّت قوانين جديدة تحكم حركة رؤوس الأموال والفوائد والقروض وغير ذلك من ضوابط الأمن الاقتصادي. أما في الحالة السورية، فالموضوع يبدو أصعب مما يتخيله بعض الاقتصاديين المؤيدين بقولهم إن الاقتصاد السوري بحالة جيدة وسيتعافى فور عودة الهدوء للبلاد، فبعد هذا الخراب للمدن الصناعية وتمزيق هيكلية اليد العاملة وهروب رؤوس الأموال الوطنية، وانهيار العملة سيلعب دوراً سلبياً في مستقبل الوضع الاقتصادي وبالتالي المعيشي للشعب السوري.

لا يوجد مخرج سهل ومريح من هذه الأزمة وبدون تكاليف باهظة الثمن، إنما يوجد ما هو أهون الشرور، المتمثل بدعم الطبقة المتوسطة من المنتجين بقروض ميسرة وبفوائد قليلة، وتشجيع الاستثمار من خلال وضع قوانين تضمن لرأس المال حريته، ودعم الزراعة وما يتبعها من قطاعات كالتربية الحيوانية التي تعتبر من الثروات الكلاسيكية للبلد.

تعتبر سورية من البلدان الزراعية لتوفر مساحات معقولة من الأراضي المروية، وهذا القطاع يمكن أن يؤسس لبداية النهوض الاقتصادي بعد هذه السنين التي أرهقت وأزهقت ما لا يحتمله بلد صغير نسبياً كسوريا.

«نزوح مريم» بين الحرية والعيش بسلام..!

فوز محمد الفارس

من الرقة التي يسيطر عليها اللون الأسود متمثلاً بداعش.. إلى محردة التي تسيطر عليها قطعان الشبيحة تدور أحداث رواية «نزوح مريم» للدكتور محمود حسن الجاسم، حيث تتحدث الرواية عن مصير «سارة» المسيحية المعروف سلفاً أن دمها مستباح.

لست هنا بصدد تقييم الرواية ونقدها لأن النقد ليس مهنتي، رغم أنّي أعتقد أن هذه الرواية تندرج تحت ذلك النوع من الروايات التي تتحدث عن التشدد الديني متمثلاً بداعش، مالئة الدنيا وشاغلة الناس، ولم يعد خافياً على أحد أن روايات كهذه باتت تنال حظوة عربية وعالمية، حيث يستفيد كتابها من حالة النفور العالمي من الإرهاب وتتكئ عليه لتحصد الشهرة والجوائز.

بالإضافة إلى ذلك تجد الرواية في الأقليات دعامة أخرى لها لا تقل أهمية عن الإرهاب ليصبح موضوع الرواية، الإرهاب الذي تمارسه داعش على الأقليات، الأقليات التي استنفرت لأجلها جيوش وبلدان بأكملها، ففي سوريا تُذبح الأغلبية جهاراً نهاراً كرمى لعيون الأقليات التي بات الدفاع عن وجودها تجارة النظام الرابحة، والتي ساهمت في إطالة عمره بحجة أنه لا غنى عن النظام في محاربة الإرهاب، وإلى الآن لا يوجد البديل الذي يقوم بتلك المهام والخدمات التي يقدمها النظام للعالم بأسره.

أعود للتأكيد أنني لست بصدد نقد الرواية، وإنما أريد أن أروي حكاية لي مع هذه الرواية بحكم معرفتي الوثيقة بمدينة محردة وأهلها، حيث تربط هذه المدينة بمدينة حلفايا المتاخمة لها من جهة الشرق روابط تاريخية، رغم اختلاف المدينتين في الانتماء الديني، وهذا الاختلاف لم يكن له أي اعتبار قبل الثورة، فالمحبة والاحترام كان طابع العلاقة بين المدينتين.. إلى أن اندلعت الثورة فانضمت حلفايا إلى قافلة الثورة، وبقيت محردة على ولائها للنظام تحتضن أغلب مقراته وفرقه العسكرية، ومن ديرها الذي كان مكاناً للعبادة تنطلق القذائف والصواريخ لتدك القرى والمدن المجاورة وتهدمها على رؤوس ساكنيها.

ست سنين مضت من عمر الثورة وجيراننا في مدينة محردة يعلنون تعاطفهم معنا في نزوحاتنا وموت المدنيين وخراب بيوتنا، وحين يلّمح البعض منّا لاحتضان مدينتهم للنظام تكون الإجابة أن لا حيلة لهم في ذلك وهم مغلوبون على أمرهم..

كان الأمر كذلك بالفعل في البداية، لكن النظام الماكر بدأ بتخويفهم من الجماعات الإسلامية التي ينتمي إليها بعض أبناء مدينتنا، وأنهم حين يصلون إليهم سيقطعون رؤوسهم ويسبون نساءهم، مع العلم أن هذه الجماعات كانت تحيّد مدينة محردة عن صراعها مع النظام، وهناك قصص كثيرة بهذا الخصوص يرويها المنصفون من أهل محردة ممن أدركوا محاولة النظام في زجهم بالصراع من خلال قيامه باختطاف أشخاص من محردة، وإلصاق التهمة بالجماعات الإسلامية الموجودة في حلفايا، وتضخيم هذه الأحداث وافتعالها بكثرة ليحصل على مراده، وقد دأب على ذلك ست سنين إلى أن نجح في النهاية وبدأت الخصومات والشتائم على صفحات التواصل الاجتماعي، ومن ثم بدأت هذه الخصومات تنتقل الى أرض الواقع وتأتي أكلها. كان هناك عقلاء ولا شك، لكنهم لم يستطيعوا أن يصمدوا أمام سيل الكراهية الذي تفجر، ولم يعد أحد قادراً على الصمود في وجهه..

هذا الصيف كان ساخناً على الجارتين، فقد انطلقت المعارك في ريف حماة، ووصلت الجماعات المسلحة إلى أطراف مدينة محردة، ولم تدخلها، وكان بإمكانها أن تفعل ذلك بعد أن طوقتها من ثلاث جهات. رغم كل التطمينات التي قدمتها الجماعات المسلحة لأهل محردة إلا أنّهم لم يصدقوا، وبعضهم قال: هل من الممكن أن توضع نعجة بين قطيع ذئاب ويقال لها لا تخافي..

لقد نجح النظام بالفعل في تكريس الكراهية والخوف للطرف الآخر الذي أسبغ عليه ثوب الإرهاب. بعد شهر عاد أهل محردة إلى مدينتهم بعد أن نجح النظام الذي حشد الحشود من كل أصقاع الارض في دخول مدينة حلفايا وتطهيرها من الإرهاب على حد زعمه، لكن العلاقات بين المدينتين لم تعد إلى سابق عهدها، ويبدو أنها لن تعود أبداً.

حين عادت الحياة إلى طبيعتها نوعاً ما في مدينة محردة، قررت أن أجري لطفلتي تلك الجراحة التي اقترحها الطبيب المعالج لها قبل شهرين، وهذا الطبيب تربطنا به صداقة قوية ونقاشات دائمة بحكم ثقافته ومكانته المرموقة.. لا أدري كيف ساقنا الحديث إلى الأدب والحرب، وتلك الأعمال التي صدرت لبعض الكتاب بخصوص الحرب لأذكر له رواية «نزوح مريم»، والتي رشحت لأحد الجوائز في وقت سابق وقسم من أحداثها يدور في مدينته.

عندها طلب مني أن أرسل له الرابط أو نسخة الكترونية ليقوم بقراءتها، وفعلاً قمت بما طلبه مني، وعندما عدت إليه في مراجعة لطفلتي بعد تلك الجراحة التي أجراها لها سألته عن رأيه بالرواية ولا أخفيكم أن جوابه قد صدمني.. قال لي: لا علم لي بفتاة من مدينته تزوجت بمهندس من الرقة لأن أموراً كهذه لا تحصل لديهم. (يقصد الزواج من دين مختلف)، أو أن أحداً من مدينتنا ذهب إلى مخيمات اللجوء في تركيا.. ابتسمت ابتسامة شاحبة لا معنى لها، وقلت في سري: حتى في عالم الأدب الذي يدخل عوالم مفترضة، وأحداثه قد تكون خيالية يرفضون التساوي بنا وبآلامنا.. ومع هذا ترى الكثير من أدبائنا وكتابنا يغضون الطرف عن وجع الأكثرية منّا، وموتهم ويلتفتون بما أوتوا من قوة إلى وجع أقليات لا تشكل آلامهم نقطة في بحر آلامنا. هل وصلنا إلى زمن على الأكثرية فيه أن تموت لتحيا الأقليات؟!

أذكر أنني حين واسيت صديقة لي من هذه المدينة بسبب سقوط قذيفة على بيتها واقتصرت الأضرار على الماديات بأن الحرب لا ترحم، وكلنا في البلوى سواء، رمقتني بنظرة ملؤها التهمة وقالت: أنتم مضطرون لتحمل الحرب وويلاتها أولستم تريدون الحرية؟! نحن لا نريد الحرية.. نريد أن نعيش بسلام فقط!!

الغرابيب السود

ابتسام تريسي

أخيراً أوقفت قناة الأم بي سي بث «الغرابيب السود» لكنّهم لم يأتوا إلى الدراما من فراغ وإن توقف العرض.

ركز المسلسل الذي يدعي القائمون عليه بأنّه يفضح ممارسات داعش على أمور ثانوية في مجملها طعن بالدين الإسلامي وتأكيد على أنّ داعش منتجٌ إرهابيٌ سني خرج من حلقات تحفيظ القرآن. وركّز المسلسل أيضاً على فكرة جهاد النكاح!

أوّل من استخدم عبارة جهاد النكاح قناة الميادين التابعة لنظام بشّار الأسد والتي يديرها «غسان بن جدو» وحقّقت بذلك سبقاً إعلامياً وتنبأت بظهور جبهة النصرة وداعش في سوريا قبل حصول ذلك بزمن، وهي ليست المّرة الأولى التي تحقّق قناة الميادين مع قناة الدنيا السورية سبقاً في التنبؤ بأحداث وتفجيرات ومعرفة القائمين عليها؛ لأنّ إعلاميها يستقون معلوماتهم من المخابرات السورية التي تخطّط للأمر وتسرّبه فيحضر التلفزيون للتصوير قبل التفجير بساعات!

وكثرت الرسوم الكاريكاتورية حول الأمر وصوّرت فيها النساء السوريات منقبات وعاريات من الأسفل.. أرسل لي الصور صديق علوي نسي على ما يبدو أنّي مسلمة سنية وأنّ صداقتي معه لا تخوله أن يسخر من ديني فكتبت له رداً مهذباً أوضحت له أنّه لا توجد فتوى في الإسلام تحمل هذا الاسم، وأنّ اقتران لفظ الجهاد بلفظ النكاح هو عمل شيطاني هدفه إهانة المسلمين السنة والسخرية من الجهاد وهذا عمل لا يقوم به مسلم بل عدو للإسلام.

كلّ هذا كان قبل أن تظهر المتطوعات للجهاد الجنسي في سوريا القادمات من أوربا ودول أخرى. في البداية كان الأمر مقتصراً على تشويه صورة السوريات المسلمات السنة ولصق هذا الفعل الشنيع بهن.. علماً أنّ «الروسيات» جئن إلى سوريا لهذا الهدف، وأنّ بعض العلويات شكلن كتيبة خاصة بإشراف ضباط من جيش بشار الهدف منها إمتاع الجنود الروس في الساحل السوري.. كذلك تطوعت الكثير من النساء للقتال إلى جانب ما سُمي بالجيش الشعبي لكنّ ضباط الجيش استخدموهن لأغراض جنسية، وذلك باعترافهن في فيديوهات ظهرت على اليوتيوب أشهرها الفيديو الذي ظهرت فيه نساء من اللواء 130 يستغثن بالقيادة ويتهمن الضباط بأنهم يجبرونهن على الدعارة وأنهن تطوعن لحماية الوطن وقائده وليس من أجل إرضاء نزوات الضباط الذين يختارون الجميلات ويتركن الباقي من دون طعام ولا ماء ولا حمامات ويمنعونهن من أخذ إجازة لزيارة عائلاتهن وأطفالهن ويهينونهن، وكل واحدة كانت تقدم نفسها وهويتها الشخصية.

معنى الغرابيب السود

في قوله تعالى «ألم ترَ أنَّ الله أنزل من السّماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جُدد بيضٌ وحُمر مختلفٌ ألوانها وغرابيبُ سودٌ» الآية الكريمة واضحة والمقصود وصف بصري للجبال ولا رابط بينها وبين ما يناقشه المسلسل على حسب زعم منتجيه «وجود الإرهاب متمثلا بداعش» ولا بما جاء في شارة المسلسل «جباههم سود».

من الواضح أنّ الهدف الحقيقي للمسلسل الاستخفاف بالدين الإسلامي والقرآن والسنة.. يكفي أن يختار منتجو المسلسل آية قرآنية عنواناً له وليس هناك أيّ رابط بين العنوان والمحتوى بل على العكس العنوان لا يمكن أن يحيل حتّى إلى طبيعة المنطقة الجغرافية التي أقامت فيها داعش سواء في سوريا أو العراق.

الغرابيب السود والطائفية:

تحدث الممثل ناصر القصبي عن المسلسل وموقفه من داعش ورداً على سؤال لماذا لا تنتقد التّطرف الشّيعي كما تنتقد التّطرف السّني قال إنّه لا يريد التّعرض للشيعة؛ لأنّ ذلك تحريض بشع على الطائفية.. لا أحد يريد أن يذكر رأس النّظام السّوري العلوي لأنّ ذلك فيه تحريض على الطائفية، لا أحد يريد أن يتحدث عما يفعله الحشد الشيعي العراقي بالمسلمين السنة لأنّ ذلك يحرّض على الطائفية..

الكل يريد محاربة الإرهاب، والإرهاب تمثله داعش، وداعش كما يزعمون خرجت من كتاتيب السنة وحلقات الذكر للمسلمين السنة وحلقات تعليم القرآن عند السنة.. وإذا كان داعش إلى هذه الدرجة من التمسك بالإسلام فلماذا يتبنى كلّ تفجير إرهابي على وجه الأرض حتّى لو تم تكذيبه وليس بعيداً ما حصل على سبيل المثال في الفلبين حيث هاجم إرهابي منتجعاً سياحياً في مانيلا وبعد أن تبنته داعش خرج الإعلام الفلبيني ليقول إنّ الشّخص الذي قام بالهجوم هو (جيسي خافيير كارلوس) وهو غير مسلم ومقامر ومثقل بالديون!

من أين جاء هؤلاء؟

مهاجمة المسلسل السّاقط الخبيث ومهاجمة القناة التي تعرضه والقائمين على العمل ابتعاد عن رأس الحربة «الغربان السود» في الواقع حتّى الغراب الذي يتشاءم منه الناس هو أفضل من البشر وقد علّمهم كيف يدفنون موتاهم، وبالتالي يدارون سوءتهم.. الذي يدير المشروع عميل لإيران فكيف نصدق أنّ حكام السعودية يريدون محاربة إيران وأنهم أعطوا كلّ تلك الهدايا لترامب كي يأخذ موقفاً حازماً منها!

قناة مثل الام بي سي لا يمكنها أن تسخر من المسلمين وتبدي العداوة بشكل صريح لو لم تكن مدعومة من حكّام السعودية الذين أهدوا ترامب الذهب لإغوائه وجعله حليفاً لهم ضدّ إيران.. وهم من قتلوا الكاتب والمفكر «ناصر السعيد» بتذويبه بالأسيد بعد أن فضحهم في كتابه الذي منعته معظم الدول العربية «تاريخ آل سعود» وقد احتوى الكتاب الذي تجاوز الألف صفحة على صور تفضح الأمراء والحكّام، بالإضافة إلى المعلومات الخطيرة التي جاءت فيه والتي تؤكد على أنّ آل سعود لم يحكموا الحجاز إلاّ كما أراد من ولّاهم عليها.

وقد نشر في الكتاب صورة للسفير السعودي في لبنان محمد منصور يحتفل مع حزب الكتائب بالعيد السادس والثلاثين للحزب وذكر أنّ المملكة تدفع للكتائب مرتباً شهريا قدره مليوني ليرة لبنانية وللرئيس كميل شمعون مليون ليرة لتقوية سلاحهم اليهودي ضد المسلمين.

ناصر السعيد لن يكون آخر شخص معارض تعدمه المملكة التي لم تتغيّر سياستها منذ استلم آل سعود حكم الحجاز.. وكان بإمكانها بدل التصريحات الطنانة أن تتخذ موقفاً حاسماً من القضية السورية، لكنّ موقفها كان بإرسال المحيسني وأمثاله لهداية الشعب السوري في المناطق المحررة!

المبدع سمير الفيل يفوز بجائزة الدولة التشجيعية

صدر أخيراً مجموعة قصصية جديدة للكاتب سمير الفيل، بعنوان «جبل النرجس» عن دار الأدهم للنشر والتوزيع في القاهرة. وهي المجموعة التي فاز عنها بجائزة الدولة التشجيعية للقصة القصيرة، وتضم المجموعة القصص التالية: عين حلوان، هندسة، البلكونة، حرنكش، جبل النرجس، زوجة العياشي، الطريق الى المقبرة، حكايتي مع الجارية، معطف المطر، ان تعذب الكلب.

وعن مجموعة «جبل النرجس»، يقول الكاتب شريف صالح: تسود المجموعة أجواء شعبية مبتهجة، حيث يميل الكاتب لتقصي حيوات شخصياته التي تنتمي لقاع المجتمع لكنها في حقيقة الأمر تتمرد على قوانينه بشكل أو بآخر. كما تزخر النصوص بسمة أساسية أخرى هي الارتداد لمنطقة الطفولة، والاغتراف من كنوزها، مع لمسة إنسانية ساخرة، متشككة في إمكانية الانفلات من القهر. سمير الفيل الذي ارتبط اسمه بأدب الحرب تخلّص من تلك السمة في نصوصه الأخيرة التي يتساءل فيها عن معنى الموت، وفكرة الوجود، وعنفوان الميلاد. فيما يقدم لنا أشكالاً غير نمطية للحكي، مستخدماً لغة تجمع اليومي بالفانتازي.

من أجواء مجموعته ما نقرأه في قصة «البلكونة»: «لم يسمع أحد صرخاتي، وحتى صوت محمد فوزي سكت، وخيم الصمت على الشارع أسفل البيت، وكف المطر عن الهطول. الليل يهبط برفق، وخلفي كان جدار باهت النقوش، تسير عليه عناكب رمادية غير عابئة بوجودي. كففت عن التساؤلات وركزت فكري للخروج من البلكونة التي حاصرتني كأنها المصيدة».

ويتابع شريف صالح حديثه عن المجموعة، ويقول: تمضي النصوص بهذا الشكل الذي يقترب من دائرة الإحساس المتزايد بالقهر. والأبطال ينفرون من تجهم الحياة، ممسوسون بالغياب أو الشعور بالنقص أو التهرب من الموت.

هذه هي المجموعة القصصية الحادية عشرة، وسبقتها مجموعات أخرى، منها: «صندل أحمر»، «قبلات مميتة»، «هوا بحري»، «الأبواب» غير ثلاث روايات لها السمت نفسه الذي يعلن عن قلق وجودي عميق.

وحول جائزة الدولة التشجيعية، قال الفيل لجريدة الدستور: «شخصياً قدمت لهذه الجائزة، ولا أتصور أنني سأحظى بها، ربما بسبب بعدي عن القاهرة، فرغم نشر حوالي 13 مجموعة قصصية هناك من لم يقرأ لي إلا نقاد قلائل بحثوا عن نصوصي، وبعضهم درسها لطلابه الجامعيين دون أن ألتقي به إلا متأخراً، وفي مجال القصة القصيرة التي أكتب فيها هناك عشرات الأقلام المبشرة غيري، ولن أكون حزيناً إذا تجاوزتني الجائزة هذه المرة كما تجاوزتني سنة 2001".

من الجدير بالذكر أن المبدع سمير الفيل من الأدباء المصريين الذين واظبوا على نشر إبداعاتهم على صفحات جريدة الحرمل منذ بدء صدورها في العام 2014 وإلى حينه.

مجلة الحرمل: ثقافية ــ سياسية ــ نصف شهرية ــ مستقلة

رئيس مجلس الإدارة: بسام البليبل – رئيس التحرير: ماجد رشيد العويد – مدير التحرير: يوسف دعيس

ALHARMAL : 15 günde bir Siyasi ve Kültürel Gazete

SAYI: 64 YIL: 3 (2017)

İMTİYAZ SAHİBİ: ŞÜKRÜ KIRBOĞA - EDİTÖR: MAJED RASHEED ALOWAYYED

BASKI: İMAJ OFSET.Sırrın Mah.647 sok.no:33 MOB: 00905393102133

FB.com/AlharmalJournal Twitter.com/AlharmalJournal Alharmal.journal@gmail.com Muzaffer kartal bahçelievler- hekŞmler apt no.3 ŞanliUrfa